عصير أحمر بليلة احتفال

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

الكتاب: عصير أحمر بليلة احتفال

- **المؤلف:نورة طاع الله**
- **نوع العمل: رواية**
- **الطبعة الأولى 1440 هـ - 2020 م - القاهرة**
- **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**

- **رقم الإيداع : 2020 / 5312**
- **الترقيم الدولي (ISBN):978-977-6808-09-6**
- **تنسيق وإخراج: ببلومانيا**
- المدير العام: جمال سليمان
- العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق – مول الميريلاند – مصر الجديدة
  عنوان (2): 38 شارع عمر المختار – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 0020226061014
- محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201210826415
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.bbibliomania.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

عصير أحمر بليلة احتفال

رواية

نورة طاع الله

www.bbibliomania.com

2020

الإهداء

....

....

....

....

....

....

....

....

إهداء

إلى الذي قتل ولازال يقتل كل وقت..إلى من سلبت منه الحرية..إلى من هاجر بحثا عن مأوى رحيم.. إلى من بقي في قلب الخطر والحرب.. إلى من لم نستطع مساندته ومساعدته بالجهاد والوقوف معه جنبا بالجنب وبالجوار.. إلى السوري الذي نحن معه بالقلب الذي احترق لاحتراقه ..الذهن والفكر الذي لا ينساه..اللسان الذي لا يتوقف عن الدعاء له وذكره.. والعين التي تدمع كلما تألم ونطق الآه التي تميته وتميتنا عجزا وألما..اليد التي تحمل القلم..يدي التي حملت القلم ودونت بنقل أحد أبنائه الجزء البسيط جدا وقصة من مئات وآلاف القصص المحزنة المدمرة للنفس المستوحاة من الواقع الذي لم أكن فيه لكن بمشاعري وأحاسيسي ومخيلتي وإنسانيتي عشت وكنت بقلب الواقع والحدث...إليك يا سوريا.. إليك يا سوري يا أخي أُهدي روايتي السردية هذه" عصير أحمر بليلة احتفال".

" نورة طاع الله

*****

يسألونني عن أحلامي...قلت أين مأواها...سألوني عن أمالي...قلت تبخروا بليلة احتفال...

قالوا من أنت...جاوبت بمن أنا؟...من أكون؟.....أنا هنا أم هناك.....بالغرب أم الشرق...بالجنوب أم الشمال..

أنا أين ؟ ...بالأفق...بالأعلى...فوق اللون الأزرق الذي فوق رأسي...أم تحت الذي تحت قداماي...

أين تسكنين ؟...تحت التراب أريد أن أكون..أقيم ...أسكن..

مدي يدكي...أمسكي وجبة الطعام...لا...مضربة أنا عن الحياة..

ابنة من تكونين ؟..ابنة القهر والألم..المعاناة والحزن أنا.....ما اسمك؟...اسمي اليتيمة الوحيدة.. التائهة الغريبة الحزينة.....اسمي لا وجود له بهذه الدنيا...ميتة أنا فكيف يكون لي اسم .... أنا المرحومة أنا..أنا المتوفية أنا.. أنا المجهولة المفقودة أنا...

بيتكم أين ؟..منزلنا دفن مع أهله..رحل برحيلهم..وغاب بغيابهم..ومات بموتهم..ودفن بدفنهم.....أصدقائك؟ ..أصدقائي

الرصيف...التشرد...التيهان..التسول..الشوارع المدمرة والأحياء المحرقة..

رفيقك ؟ ..رفيقي..رفقائي..الدموع..نطق الآه..الوجع والحزن و...

أرضك أين ؟...وطنك من ؟ ...موطني سوريا اليتيمة..سوريا الحزينة..سوريا الأرملة..سوريا المطلقة من الحرية والأمن والأمان والاستقرار..... سوريا المغتصبة من العدو..العدو المولود من بطنها..العدو المقيم بأحشائها...العدو الغير منتسب إليها..

بالأسئلة هم عليا يكثرون...ماذا أقول ؟ ...ماذا يريدونني أن أتفوه؟...بماذا أخبرهم ؟

لا..مع ألامي أُتركوني...من الأسئلة والنظرات ارحموني...بينكم تكلمو والله لن أبالي ولن أهتم..

فأنا عقلي..ذهني..تفكيري..قلبي..روحي بالعالم الثاني الذي به أهلي أنا هناك ..معهم طوال الوقت لحما ودما..

احكوا قصتي .. مأساتي لمن تودون وترغبون..فالعصير الأحمر تسرب خارج السور..عن سور بيتنا خرج...ما وراء الجدران والأبواب فك من رباطه..

ما سنك ؟...بالشك..بالغرابة ..بالعجز.. بأي سن أنا عجزوا عن التدقيق والتحديد.....عجوزة أنا بسن شابة...كبرني الحزن والألم والمعاناة...

من الطفولة ...من الشباب.. إلى الشيخوخة ألمي وجرحي نقلني..

يسئلون ..يكررون السؤال..عفاف تقول سئمت يا مستفسر..

ما الذي يحزنك قولي ؟...هم لي يخاطبون..

كيف للحزين أن يواسي ويخفف عن حزين مثله.....كيف للابن أن يتحمل حزن الأب والأم والإخوة...كيف نشفي جرح الأم لنشفي جروح الابن والأبناء...

سوريتنا تبكي ...سوريتنا تتدمر..سوريتنا تتهدم...سوريتنا تحتضر..سوريتنا تموت وتنجرح..فكيف يكون ..كيف سيكون ابنك يا أمنا..يا سوريتنا...يا وطننا..

حزين..حزن جلبته لي أمي سوريا..حاكم أمي..عدو أمي.....من حزنها..من ألم سوريا تألمت ..الروح تألمت وتوجعت..الروح طارت ورحلت..ضاع الأهل..فقدتهم..

من هم ضحايا سوريا.؟...شهداء لقبوا وسعيدة عفاف بلقبهم هذا..على الأقل مطمئنة أنهم عند الله أحسن وأفضل ... بمكان جد مرموق هم..

ماذا تتمنين ؟ ..كيف يكون لي أمال وأمنيات وأنا بوطن دمرت فيه كل شيء يبني لي الأمل...وطن فقد كل أساليب وطرق تحقيق هذه الأمنيات..

عفاف لا أمنيات لها بغياب الأهل والأحباب.....أمنيتي أن يكون التراب غطائي .. أن ألحق بمن تركوني بهذه الظلمة المخيفة والوحدة الخانقة والألم القاتل...

أخاف ظلم الظلام...أخاف عنف الظلام...أخاف وحوش الظلام...أخاف غدر الظلام...أخاف خيانة الظلام..أخاف من قدومه

ووجوده وحلوله....النور من سمائنا غاب ..بصعوبة..شيء مستحيل أن يرجع ثانية...

رغم الدمار .. بكاء .. سيلان دم جميع أرجاء البلاد وتحولها الى رماد...مع كل هذا بيتنا الصغير كنت أخبىء فيه أحلامي وأمنياتي...بشعاع النور الذي يضيء من قلوب ووجوه أهله وبالأخص أبي وأمي....بهذا المنزل الذي فقد ورحل عنه أسس بناءه ودوامه وبقائه...

انفتحت الجدران..النوافذ والأبواب التي أغلقت بأمل التغير..بإيمان والعيش بعيدا ..لم تفتح...لا الوضع الخارجي الذي صار لا يختلف عن الملايين من البيوت ...صار بيتنا منه..

بيتنا اغتصب بليلة احتفال ...دون رضا أخذت الأرواح التي به بقوة..ببشاعة وعنف و...وأنا أهدوني بليلة احتفالي بعيد ميلادي عصير أحمر... جمعت قطراته من قطرات الأرواح الطاهرة..

سوى روحي...روح عفاف ظلت تشرب من ذاك العصير..

تركو الروح حية ...روحي ماتت لحظة أخذ الأرواح المتواجدة بالحفل وحتى تعدو على أرواح الغائبين.

لا أحد يعلم..لا أحد يحس...لا أحد يرى ضخامة الألم والجرح الذي أصبت به وأعاني منه..

اللسان ربط...وعدني بأن ..لن يشارك بشر معاناتي فوق معاناتهم.....بحثت مرارا وتكرارا...عند هذا المكان توقفت ..لست أقوى على السير والتحرك...هنا الحركة بي توقفت..هنا الروح يا روح أخبرتني..نبأتني بأن النهاية الحتمية هنا فاستعدي يا عفاف ...استعدي .. مستعدة عفاف..لكن قبلها دعيني يا روحي أنتي...

أمهليني القليل...لي كلام كثير أود قوله..أسطر كتبتها بكتاب هو بداخل الجسد ...امتنعت عن عرضه لأنه ليس هناك من معه ليشتريه ...لا أحد عنده وقت ونفسية لقرائته وحتى للاطلاع عليه... فكتب السوريين بالمئات والألاف مخبئين..خزانتها في أنفس مؤلفيها .. كتب كتبها قلم الواقع والحقيقة والمعاش وصفحة هي أرض سوريا... أعظم من كتابي وأقوى من أحداثه منها الآلاف عانو ولا زالوا.....لن أستطيع الرحيل والكتاب بداخلي...أود الذهاب وأنا فارغة..بدونه أغادر..ورائي أتركه...بجدران هذا البيت تبقى مع الذكريات..لكل ما فيك يا منزلنا المخلص الشريف الطاهر...معك أترك السواد وإلى السماء أكون بيضاء ...

البوح..السرد..قراءة أوراقه وصفحاته هو الذي سيخرجه من كياني الباطني اللامرئي...السامع سيكون من بيننا...عفاف... يا روح عفاف ستطلق سراح الآه ...بصوت عال ومرتفع تسمعك.. وتسمع الذي

حولنا..تشرح الجملة التي رددتها كثيرا...بل الجملة التي نطقت بها منذ عديد ال..كل الأوقات ألا وهي عصير أحمر بليلة احتفال.

ها أنا أيتها الروح ..بالسطح واقفة ها أنا..دعيني أتكلم..دعي السماء بنجومها وقمرها المصابين بسم الأرض يسمعونني..الأشجار المحترقة..البيوت المدمرة..البناء المهدم..يسمعونني ...

بكل جزء بهذا البيت كانت لي ذكريات أغلبها..كلها جميلة...أخرها محت الجميل والرائع..بقي..ظل سوى البشع ...بقي يدور في ذاكرتي..يحوم فوق أرجاء مخيلتي وبصري...بكل زاوية ببيتها اليتيم الحزين.. الميت وهو موجود مثل موت روحي المتواجده بالجسد بعد...الزوايا الكل سأروي لها ماضيي وحاضري وحتى عن مستقبلي القريب..

لن أنطق بالآه التي ورائها خبئت أحزاني وأحداث ألامي واختصرتها في حرفين ذا وزن وثقل ..آه من عصير أحمر بليلة احتفال.

مرات أحلم بأن أكون...تصير عفاف بيوم من الأيام طبيبة وأداوي ألام الناس...وأوقات ينسحب الحلم...يسافر إلى عالم الحقوق وأصير أحلم..أتخيل بأني محامية ..محامية ليس ككل المحاميين...محامية اسمها الدفاع عن الحق وإتيانه ويكبر الحلم بي أن أكون جالسة بكرسي القضاء..والظالم أحاسبه..القاتل مثل الذي قتل أعضائي..بالإعدام أجازيه..المظلوم أسعده بتطبيق حقه على الذي ظلمه.....كنت أتوه كثيرا

بهذا في أرجاء وأماكن هذا الحلم ..فيه أرى ذاتي..أظهر قوتي وأخبئها..تكبر عضلاتي وتتصلب...لكن دوما استيقظ على واقع مرير...واقع أجمع كل لحظات السعادة والفرح بطفولتي وعند مراهقتي وضعهم تحت قدماي فأحرق أقدام من حولي..سبق حرق القدم القلب..

أماتوني يا روحي..أماتني الذي أمات الحظ السعيد والعيش المريح..الأمن والأمان بسوريتنا...من هو..صديقتي يا روحا أنتي لا أدري..قد يكون عمي ..لا جارنا..لا قريبي...لا أخي ..لا صديقي...

من يكون مدمرنا...من هو قاتلنا..الأقنعة كثيرة والكشف عنها يدخلنا في تحليل ومعتقدات وأراء لا تنفعنا سوى تضرنا أكثر وأكثر...الدور في اهداء النهاية البشعه سيكون في ضيعتنا في قريتنا قرصايا..بالتحديد في منطقة آل ظاهر..أصحاب هوية آل مصطفى بدأ ببيت..منزلنا...بنت محمد ديب طاهر...خاتمين بالبيتين...منزل السيد عبد الحي ظاهر وأخوه عبد القادر.

أبكي أنا ...تذكرت الذي حدث..الذي وقع..ماض..أمس لا يرضى البعد عني..يلاحقني دوما..يثبت عندي الآه والدمع ورفض الحاضر والهروب من الآتي...عينايا المغرقتان..قلبي الممزق الحزين..هاتان لو رأو السعادة..لو زارتهم الفرحة فلن يعرفوها..لن يستقبلونها لأنهم يكذبونها..رصخت في لبهم الماضي المرير والحادثة البشعة والمجزرة النازفة السالبة للأبرياء..

كيف يا روح ؟..يا روح عفاف كيف..أقنعيني ..نوريني..حدثيني..كيف أعيش وكأن أي شيء لم يكن ؟ ..وكأن أي شيء لم يحدث..كيف لحي ميت يكون سوى حي؟ ...فيا كل شيء مات ..حية بي هي الموت.

لا تقنعيني..فلمن أقتنع..اتركيني لأن الجنة هنا ستترك...تعالي يا روحي..يا روح عفاف إلى الأفق..إلى العلا...إلى فوق كثيرا نكون..إن أهلي..أحبتي ينتظروني....شوقي إليهم لا يريدني البقاء بالأرض..شوقي عنيد ولن يسمح لي..سيجرني أنا وأنت سويا إلى السماء..إلى مكان به كل شيء طيب وجميل ولذيذ..المكان الذي به أهلي أحياء ومعهم أحيا أحلى حياة..

سئمت من حياة البر...الروح طاهرة..كيف أكون بمكان وحوش سلبوا مني ومن إخوتي وأمة هذه الأرض الحياة البسيطة..

لا أريد أن أهجرك يا سوريا الحبيبة..بيتنا أنتِ لا أهوى الموت بعيدا عنك..سرقت أرواح الغوالي مني...لن أترك روحي بين يدي الشياطين البشرية..لن تعذبوني أكثر..سأرحل بهدوء..بقناعة ورضاء فأنا والروح نتهيأ..الرحيل قريب..اقترب..عند الباب هو..

لن أساهم يا عدو في منحك لذة القتل التي تشتهيها..سأهرب..نعم سأهرب هذه المرة ولن تمسكونني..ساحرة سأكون..شفافة أمر وأعبر من حولكم ولن تلمحوني..

هنا بهذا المطبخ..أمام هذه الحنفية كانت أمي عائدة حبوش ..أطيب امرأة بالضيعة..قرصايا الموجودة في سهل الروح تحت جبل الزاوية محافظة إدلب منطقة أريحا..بهذا المكان الواقفة فيه أنا يا روحي كانت والدتي تحتضن يدي بخوف وحنية معا..قربت أصبعي على الحنفية لغسل الدم السائل منه...انجرحت جرح بسيط جراء مساعدتي لأمي في تحضير الكيك..حلوة احتفالي بعيد ميلادي السابع عشر...جهزنا سويا ألذ وأشهى كيك وحلوى..شكله رائع يشد النظر الحزين الذليل المتشوق لرؤية الأمان والاستقرار بالوطن وبين الناس..بكل مكان بسوريا..

لست أدري..رأيت حزن عميق بعين أمي..لست معتادة على رؤيته...لمسات تودعني..نظرات تحتضنني للمرة الأخيرة..ملامحها الممتلئة..المهيئة للمغادرة والرحيل الأبدي أخافني...الخوف جرني إلى حضنها..نبكي معا..بكينا بشهقة غريبة..من المتسبب..ليس هناك متسبب..ما هناك من سبب..الذنب..المذنب أننا اختبأنا بقلب الوطن..اخترنا السكن ببطن سوريا..وفي الأمعاء حرب ما كانت لتنتهي..ما كانت لتتوقف..ما كانت لتهدأ...اختبأنا بالعمق بالعمق..بالعمق كثيرا..غصنا ولازلنا نغوص..غرقنا والغرق أخفى ملامحنا..ووحش الأمان يلحق ويجدنا..هربنا فمسكنا..منا كان يقترب..قريب قريب كان..أين نذهب بعدها؟..هل نستمر في المشي

والرحيل الى أعمق وأعمق..بعمق فوق عمق؟..ولو فعلنا..تطرقنا وجربنا..فبطن سوريا..بالأخير لم يكن المأوى ولا الحامي..الزوايا..زواياك يا وطني انتشرت بها الدمار وسفك الدماء..

الجيوب المنسية...الغير معروفة..ما هي بالمسموعة..انكشف لعدو يتلذذ القتل..يشتهي سماع الصراخ والتوسل وقول لا لا...يحبذون رؤية السائل الأحمر..يعشقون مشاهدة الرؤوس في استقلال عن الجسد..وكل عضو ينسحب من أخيه..والقطرات تتطاير بكثرة على الجدران وحتى على الوجوه عندهم..عندهم لا يأس من هذا..لا ملل..استمرار ورغبة في الاستمرار..

الفستان الزهري ذات الخطوط السوداء كان يدين أعمال القتلة.. ويحكي قصة جمال أمي عائدة..الأنوثة الصارخة الملتهبة لم يسرق منها الحسن الرباني..الحزن حاول ولم يذبل أوراق..وريقات حسنها المنفتح..والآه لم تخفي البسمة التي لم ترسمها الشفاء..رؤيتها ..يرونها..تظهر وما هي بالظاهرة..

الشقاء والهموم والآهات ..المعاناة لم تستطع أن تحول لون الخيوط السوداء الرفيعة الناعمة والرقيقة المنبعثة من ثروة رأس عانا ولا يزال يعاني..الأسود يسكنها ..الطول لم يتحول إلى قصر بعد..الكثافة التي بشعرك يا عائدة لم تخف..لم تغير موقعها بعد..ولا شكلها.....الشفاء الوردية المتحركة بأجمل

ألفاظ..التي إن غيرت بقعتها تكون سوى لعرض الآه المصحوبة بأمل..بمناداة الغد المشرق تعالا....لم تحرم لب أعين الآخرين..من حولها..من رؤية ما وراء الظاهر..الابتسامة ..ابتسامتك يا غاليتي بالخيال هي ..بالذاكرة هي..بالحقيقة غابت.

آه على الجدران البيضاء الصغيرة المبنية بإحكام وعناية وإتقان رباني خارقة..لم يرد الخاتم الوردي إخفائهم..فجواهر خاتمك يا أمي لم يتمكن لا الطعام ولا الجرائم الليلية الزائرة بغياب من يحميها من إظهار الضوء البراق والنجوم المشعة بكل جوهرة بالسور المغلق بأجمل شفاه المحاط بأنقى لسان..الملحن لأعذب صوت.....لو حكيت للنجوم عنك يا عائدة كانوا لفوكي وغطوكي وجنب القمر وضعوكي..كبريق يخدع.. أخدع الأبصار الباحثة عنك..

لو وصفتك للبحر كان تحول إلى نهر..

لو أخبرت عنك الفجر كان أمر الشروق بحمايتك من وحوش النهار وفرض على الغروب بغش غدرة الغادر وخيانة الخائن..

لو عرفتك قرصايا عز المعرفة يا ملكتي الراقية لكانت بنت جدران من حديد...لكانت أغلقت حدودها بأسلاك كهربائية عن بعد آلاف الكيلومترات..لكانت سدت طرقها بثعابين مسممة تلدغ عن بعد أمتار وتحضر الموت في لحظة...لكانت أنارت أضوائها وأحيائها المظلمة ..ولبس

سكانها الشجاعة..والأيدي ارتدت قفازات هي سلاح ورصاص وأسهم..خناجر تخيف وترعب قبل الإرسال...لكانت حولت ليلها الى نهار..وزرعت على بابك وكيانك..على محيطك حراس لا تقضي عليهم لا النيران..لا المتفجرات..

لو بدأت في الرد على طيبتك الفائقة للوصف وروحك المفتقدة عند كل البشر..لو رويت عن أخلاقك التي لم يشهد لها بالتاريخ ..عن أدبك الذي لو عرفته مدارس الأدب والأخلاق لكانت أغلقت ..وعن حسنك الذي يعجز عن رسمه أعظم وأبرع فنان ورسام..وعن معاملتك لبعثت أمهات العالم والكون كله أولادهم طلبا لتعليمهم وكسب المعاملة الحسنة الراقية المتواضعة البسيطة و...منك.. وعن ثقافتك في الحياة لكانت المعرفة قدمت استقالتها وأعلنت اعتزالها..وعن رزانتك وعقلك ..ولو نطقت لكانت الأمم منك بنت أمة و مستقبل لم يبنى مثله من قبل قط...وعن حنانك.. عن دفئك.. عن رقتك.. لكنت أبهرت الأذن..أم الإنسانية ..ملكة الإحساس والحنان أنتِ يا أمي.. إمبراطورية الرومانسية من غيرك يا غالية...سلطانة الكون وبنية العظمة بالجائزة فزتي..

معك يا عائدة..فيكي يا أمي . من أجلك ..ملائكة الكلمات والأحرف كانت تراجعت واعتذرت قائلة: عذرا عذرا..أمام عائدة تعجز.. تخون..

تخطأ.. تظلم.. تخرس.. ترحل.. تغيب.. تتوقف.. تموت الكلمات والعبر..الألفاظ والمعاني..

لو...من كل هذا...لكان الرب بعث ملائكة السماء والأرض ..يبعثها خصيصا لجعلك ملاك بشري على أرض سوريا لا يظلم ولا يظلم.. لن يتعدى عليه ولن يصاب بمكروه.. ومن العباد المتلونة عنهم وعنك أبعدكي.. أبعدهم..

لا أحكي لكي يا روحي عن أكلها الذي نابع والمجهز من حلاوة روحها..لم أذق بحياتي أكل سوى أكلها ولا أحب سوى الأكل الذي تطبخه وتجهزه هي...بيتنا دائما به رائحة النظافة .. النظافة في بيتنا فرد من العائلة لا بد أن يكون حاضرا معنا ولا نستطيع على غيابه إطلاقا...مهلا مهلا يا روح عفاف..نسيت أحكي لك عن أهم جزء يعجبني بأمي..عن المرأة التي من خلالها أرى أمي..منه أرى المستور وما وراء الستار والمكنون ...عيناها...لو حكيت قصص وقلت شعر طول الدهر لن يكفي وصفا وقولا عن عيناك يا عائدة..

في شكل عيناها حكاية..في المضمون رواية...من أين أبتدىء..يعجبني لون عيناها ..كثيرا..دائما إلى المرأة أنا مسرعة..أتأمل بدقة ...برغبة ..بتمني أني أرى عيناي قوس قزح مثل عيناك يا أمي..من داكن إلى فاتح..حلقة عيناها دائما تلعب الأدوار وتستعرض أجمل الألوان..فاتح خفيف..فاتح

قوي..فاتح بسيط..داكن خفيف..داكن قوي..بينهم لؤلؤة العين تنتقل من لون إلى لون حسب المزاج ..حسب النفسية..حسب الجو..حسب الطبيعة..حسب الأجواء المناخية...نهر مليئ بالمشاعر والأحاسيس..و.. وفي عيناك يا أماه..أراهم سماء.. أراهم أرض .. أراهم مأوى .. أراهم هم الوطن.. هم الدفئ عند البرد والحرمان.. هم النور عند الظلام.. هم السعادة.. الفرحة الزائرة عند الحزن والألم..

رموشك حرير ناعم.. ليس بالغالي عن المحتاج لنعومته ... رموشك أجنحة ملونة لعصفور يغني ويغرد فوق رأس.. فوق أجواء وسطح المدمعة الغائبة عن المركبة الذاهبة بالأنفس والأرواح.. العقول والقلوب إلى العالم الهادئ البعيد .. المتخلي .. الناسي للواقع المرير الذي حطم النفوس يا سوريتنا....هي من تجعلنا نستمر رغم الحزن الذي عهد.. وعاهدنا أن يسكن ليلنا ونهارنا..جميع أوقاتنا..رموشك اليمين والشمال .. الشرق والغرب المحتضن عند الخطر...رموشك يا عائدة ريشة طويلة..رقيقة.. ريشة جنب ريشة.. ريشة تحتا ريشة.. ريشة فوقها ريشة تكتب وترمي بماء على كتاب هو خدود لم تخلق ولم يكن للقدر يد في تبديلها بقطرات نمت وكبرت فولدت من آهات وآلام وأوجاع طردتها النفس.. رقصها القلب.خاصمتها الروح لكن.. للأسف .. لا لوم عليك يا أجمل عيون فبئرك الباطني يا أمي إن انفجرت أبوابه وانفتحت..لم يكن للصراخ...

أنوثتك .. عطفك.. إحساسك بالأخير حول الصراخ إلى موقع اللسان .. إلى بقعة بها صمت .. بها بسمة مع دمة ..بها حضن للمجاور..سحر العين تدمع وتبتسم.

لِمَ نسأل.. يا عين ..لِمَ البكاء؟.. علينا ترد لا لا.. حنفية الفرحة عندي سالت لوجودكم.. لحسكم يا أحبتي..

عيناها بالليل..عند الظلام مصباح يضيء.. ينير وحشتنا ويطرد وحشنا وخطرنا... عينيك الرائعتين الكبيرتين بيت أنجب وربا وأوى... منزل به أثاث وأفراد وملتزمات... عيناك يا عائدة جدران متينة لا يهدها لا قنابل ولا صواريخ.. أسقف اسمنتها متين لا البرد..لا الحر..لا ذوي القنابل وفيروسات المجتمع والأمن والسلام يزعزعوها.. لا تتشقق رغم الزلازل.. لا تتهدم مطلقا.. ولا نيران البركان تهدمها وأرضا تسقطها لهبا ورمادا تخلفها..

من.. منك هذا يا غاليتي.. أنا الشجاعة أخذت.. الجرأة تعلمت..الصبر اكتسبت.. التصدي.. متصدية وقفت.. بعدك حديدية كنت .. لقبت.. اشتهرت...منك يا عائدة القوة سرقت والضعف قتلت فدفنت... لرحيلك أحييت الضعف والقوة سحبت مني وسام البطولة..

أود أن أوجد أينما توجدين.. أكون أينما تكونين.. أين أنت .؟ لكي أسافر وأكون فأقيم.. بالجنة أنت..

معك مشتاقة أكون.. استدعيتني كثيرا بالليل.. استدعيني لألبي الدعوة.. يديك لي مددتي..يديك اللتين جاهدن كل سهرة من سهرات الفجرية لأمسك باليد المنحنية لي .. الطالبة بالانضمام قريبا وعاجلا عاجلا.. للعيش ببيتنا بالسماء.. إيه ما أحلاه من البيوت على ملامح الكون.. بالجنة..

يا روحي الساكنة بعد بأعضائي وكياني الجسماني.. بالله عليك يا روح عفاف إلى بيتنا .. إلى البقعة التي بها أهلي خذيني.. رجاءا لا تحولي بي الطريق إلى بيت به نار تحرقني.. كفاني حرمان بالدنيا.. كفاني نيران ألهبتني حتى أوصلت بي لسحبك سريعا.. أتوسل اليك أن تجري حظي الدنيوي معي إلى أخرتي..

الانتحار سيبعدني عن لقاء الأحبة .. الانتحار هو أصلا مرض خبيث سيزامنني ويلتصق بي ويعذبني..لكن ليس هناك حل.. لا أقوى على الانتظار أكثر..

يا ملك الموت عذرا لأنني لم أنتظرك .. يا قبري لا تدع العذاب يحيط بي من كل جانب.. لا تدعه يستقبلني فأنا فوقك عانيت وتألمت ..تعذبت حتى أن الجسد.. الروح للعذاب تعودت إحساسها له مات.. بالنور والراحة يا قبر اوعدني.. عني لعزرائيل أحكي.. أخبره.. أعلمه بما مررت به وهو .. أنا متأكدة بالحضن الأمن والمطمئن .. المريح سيريني.. يعوضني..

لم أظلم فانظلمت .. لم أضرب فانضربت.. لم أجرح فانجرحت.. لم أؤذي فتأذيت.. لم أؤلم فتألمت.. لم أبكي فبكيت...هكذا يا خاتمتي ..لما بعد الخاتمة اعلمي بالمعاملة الخاصة فأنا محتاجة وجدا.. أريد.. بالشيء المختلف والنادر أنا أستحق..

يا فرشي التراب أنا آتية..تحول من غطاء مختنق.. إلى المريح كن...أتمنى عمري الذي بالعالم الآخر مختلف .. كله سعادة وفرحة وطمأنينة .. أتمنى أن أولد من جديد ومع من أحب أعيش.. بأخضان أمي أنام.. فوق رجلي أبي أجلس .. مع إخوتي ألعب وأمرح وسوى الحب والطيبة.. الحنان والوفاء .. الصدق والإخلاص يجمعنا ويحتوينا.. سوى الخير فوقنا يحوم ومعنا...أكثر شيء أحاسب .. ألوم الزمن والدنيا أنهم لم يمنحوني الأمن والأمان.. ابنتهم كنت فلم يعتنوا بي.. خدمتهم ولم يخدموني.. بالواجب تهربو

فضروني..الأمن والأمان الذي يمكناني من أن أكون أما تشبه الأم عائدة.. وكل شيء قامت به..منها شفته.. منها تعلمته.. بها تميزت واختلفت.. بهم أكون..أطبقه مع أولادي.. تمثال الدفء والحنان والاحتواء أكون..الأمومة النادرة أطبقها فيحكوا عني وتصل إلى ابني.. أبنائي.. مثلي مستقبلا ومثلك يصبحون ..في هذه اللحظة.. بلحظة أفضل وبواقع أحسن..وضع أشرف.. عني يروي للروح أو لأي كان.. المهم عني يعرفون ولي ولهم فخر وعزة .. عفاف أم وليس بعدها أم..

نزيف الحزن عندي زاد ومثل فصيلته لم يوجد.. لا يوجد كيك.. تورتة عيد ميلادي هذه المرة أبهرت حاضري وكأن الموت كان يخبرني ينبئني.. نبأ الحواس عندي باستغلال كل جميل وحلو يمر من حولي وبعدم الرحيل دون الإقامة عندي حذرني ويود إعلامي..

بليلة.. بيوم احتفال بعيد ميلادي بيتنا ومن فيه.. قررنا بأن نغش الفرحة.. نخلق لأنفسنا جو مفرح وسعيد وفعلا اتحدينا .. تضامنا.. وصلنا لمبتغانا.. كنا نعيش الختام.. الرجوع إلى ضد السعادة التي حسدتنا وأصرت أن ينتهي الجو المبتهج المبتسم إلى بحر الأحزان والآلام.. غرقت بالبحر سوى أنا فيه.. نجوت.. الباقي مات وودع..هأنا منذ ليالي طويلة أقاوم وأسبح للعودة إلى الشاطىء .. عجزت.. لم تسعفني أي سفينة من السفن التي مرت.. مرت سفن من حولي ..سوى سفينة الاستسلام

والانتحار..سفينة.. سفن رمت لي حبل ... حبلها أغرقني أكثر.. عن السطح يبعدني.. بالكثير أبعدني.. أبعدني.. لكن... الصبر نفذ.. هأنا أتبع الحبل لأصل لرأسه الذي سوف يلف حول عنقي ومنك أيتها الروح يأخذ والجسد يرمي..

أشتهي نوما بلا استيقاظ.. أشتهي حياة بلا دنيا.. حياة مع من بهتة الحياة تركوني...أشتهي جسدا بلا لباس.. اللباس الأرض المجروحة.. اللباس

النفس المكسورة.. اللباس الواقع المرير الخطير .. الجد مخيف.. اللباس المنتقم الظالم.. اللباس حرب هدمتنا وحطمتنا وما بكفا..

لا عن مخيلتي.. لا تغيب عن ذاكرتي الأوقات القليلة جدا الممضية بين البنت وأمها في المطبخ.. منهمكين في التجهيز والترتيب .. والكل بالخارج يتسربون .. مهلا مهلا .. بسرقة لرؤية أين وصلنا وما المجهز يمشون..
عائلتنا.. أسرتنا .. كانت .. كنا جسد كل فرد بعضو..حيث العضو يكمل العضو الآخر ولا بإمكان أي عضو الاستغناء عن أخيه.. فرحة صغيرنا ترقص قلب كبيرنا وسعادة كبيرنا هدية غالية مهداة لصغيرنا....حزن صغيرنا يميت كبيرنا قهرا وألما، وحزن كبيرنا نار يشوى بها صغيرنا..
هكذا كان آل ظاهر أصحاب كنية آل مصطفى معروفين بالمنطقة.. بأطيب البشر معروفين.. بأحسن العباد معروفين..ملقبين..
أبي بالسنبلة السبعين كان.. شيخا كان ..كأنه بالعشرينات أقسم كان..شابا ذات السبعين كان..
لم أحس.. لم أنتبه ..كذبت.. لازلت أكذب أن أبي شيخا هرما..فما كانت تحمله نفسه ..قلبه..روحه أبا في عز الزهور..
لعفاف محمد ديب طاهر كان الأب..الابن..الأخ..الصديق...لعائدة حبوش محمد ديب طاهر كان الزوج .. الأهل.

البياض المكسو شعر أبي..المغطي رأسه لم يكن يوحي لي هذا البياض على كبر السن ..فكم من صبي غمر الشيب رأسه ..وكم من كبير لم يزر البياض شعيراته.

الشيب يثبت لي التعب.. الشقاء الذي شهده أبي ومر به..يثبت لي النفس الصافية والقلب النقي.. الفكر.. الذهن الصحيح المفيد.. يظهر لي الثلج الدافئ المتهاطل .. المتساقط على قمة أهل بيته..الثلج الباعث.. الآتي بالحماية والأمن.. الحنان والدفء والحب.

كان سؤالي دوما : أبي أبي ..شعرك شاب وحاجباك شابو.. لحيتك شابت..شعر جسدك الكل صار أبيض.. معنى هذا أنك كبرت صرت عجوازا..لكن لِمَ لون شيبك مختلف هكذا ؟ لِمَ لا تجعل لونه أسودا ويصبح مظهرك بعيد كل البعد عن الشيخوخة وإلى الشباب تقترب..

لي قال : لون شيبي مختلف لأنه ما بداخلي مختلف.. الشيب كساني والجسد هرم لكن القلب بالحب لا يزال شابا.. نفسي الجميلة بجمالها شابة.. روحي العاشقة لكل ما يعشق والكارهة لكل ما يكره.. الجالبة والمعطاة لكل ما يفيد.. المقيمة بعصر..بزمن..بعالم الصالحين هي شابة...كياني الباطني..بيتي الباطني ..المستور..المكسو بهذا الجسد .. الجسم الهرم.. القديم الوجود والظهور..الكثير الاستعمال..داخله شاب يتمتع بشبابه الكل... شاب ما يمر به من العمر والزمن يبقى شاب..لكن الكائنات

الساكنة بباطني كائنات خلقت لإيجاد وزرع البذرة الصالحة الخيرة..هذه الكائنات رغم تواجد الظلم..الطمع والجشع.. و.. و.. كائنات كانت بالبعيدة ...لهذا يا عزيزتي يا صغيرتي..يا ابنتي أنا شاب بالروح والعقل والقلب والنفس لا بالجسد.

أبي كان لي السرير الذي عليه أسترخي وأنام النومة المريحة التي أحبها وتريحني وتستيقظني على يوم جميل وإن كان بشع..

كان لي محمد ديب طاهر المعطف الذي ألبسه عند البرد الشديد.. لي هو .. الحذاء الذي يحمي أقدامي من أشواك الطريق والأرض والبشر...هو الملجأ الصغير الذي أهرب إليه عند الخوف..عند لحاق الخطر بي .. عند الاستعانة بالنجدة و النجاة..

أبي سيارة إسعاف تصطحبني..تلحق بي..وترجع بالأنفاس الأخيرة إلى أنفاس البداية من جديد...أبي الأسد الذي أدافع به عن نفسي ومن شراسة قلبه الخانق المدافع علي أسرق..آخذ.. أستمد..أستعين بالقوة والقدرة.. بالتحدي والمواجهة...أبي قائدي.. أبي معلمي.. أبي مرشدي..

لا رئيسا لي، فأبي رئيسي..على رئاسته أمشي وأتبع.. من قوانينه أطبق وألتزم وأطالب.. منه الواجب أنفذ والحق أخذ.. من نظامه أحمي وأحمي..

انتخبته لا لأنه أبي.. لأنه الرجل العظيم.. الرجل الشريف.. الرجل الذي عنده لا أهان ولا أظلم..عنده أكرم.. الرجل الذي روحه موضوعه ..

مقدمة للتضحية.. الرجل الذي يعيش مرتدي كفن ويموت على نفس الكفن..

أبي ما أعظمك يا أبي من بين الأباء .. يا أبي .. ما أروعك يا أبي من بين الرائعين.. مثلك لم أرى .. مثلك لن أرى محال يا أبي .. أنت قدوتي .. أنت مثالي في الحياة لا غيرك يا أبي .. أبي يا أبي ...

والله على نظريتك .. على مذهبك.. على مدرستك .. على فكرك اتبعت ومشيت وفيهم وعليهم أكمل.. أواصل .. لكن .. لكن لم أجد لها تطبيق بالوجود.. سوريتنا يا أبي تغيرت .. وطننا سرق وباع ..

قربت الوصول إليكم يا أبت.. معا.. وراءك.. نتبعك..نطبق الذي لم تستطع تطبيقه بالأرض..

بسوريا لم يعد هناك سكن وإقامة للخير وفعله والحث عليه.. لم تعد هناك مبادئ.. لا وجود للأخلاق.. الحق مات معكم.. مع شهداء سوريا وشهداء غيرها..

مشتاقة الى يديك الخشنتين الناعمتين المليئتين بالحنان الفائضتين بالدفء يا أبي..يداك اللتان بشدة إلى حضنك يشدوني.. إلى صدرك تضمني.. وتخبئني من أي شيء يخيفني ويهددني... إلى الصلاة وراءك أنا ملهوفة .. لم أنسى .. أنا متشوقة يا حبيب قلبي يا محمد ديب طاهر للشهادة ... شهيدة بنت

الشهيد أشتهيها.. تشتهيها روحي.. خاتمتي المهيئتين للقدوم إليك..ويكونوا أينما أنت الآن..

أنت أب افتقدته العديد من البنات .. أنت أب ورزق لم تحضى به غالبية بنات الأرض ..عليك الكثير حسدوني.. لا يزالون يحسدونني..أنت أب تتمناه كل بنت.. هل يكون حسدهم هو من أخذك مني ؟ .. هل الحسد .. حسدهم سبب لومي للحياة وإلى ما وصلت إليه..أكيد العدو حسدنا.. غار من حياتنا البسيطة النادرة.. التي كلها حب ومحبة وتماسك و.. و..

و...شتتونا وأحسنوا في ذلك.. نجحوا.. تفوقوا علينا في الغدر والظلم و.. فرقونا وأجادوا في ذلك..إلى السماء رفعوكم وبالأرض أبقوني ووضعوني..بجدارة تمكنو من كل هذا.

كيف أنسى ..بالله عليك يا روح عفاف كيف أنسى..دقات الموت تطرق بابي.. بابك يا روحي...سأرحل .. لا .. لا.. ليس بالإمكان البقاء والعيش أكثر.. الحياة لا أطيقها.. وأراها لا تطيق وجودي.. أشعر بذلك من ليلة احتفال..بليلة فرحة ضائعة..بليلة لمة طال غيابها..بليلة بسمة تحدث المعاش وما وصلت إليه يا سوريتي.. بالممتاز جدا تمكنا من خلق جو غاب بكل نواحيك يا سوريا.. بكل أراضيك .. بكل زواياك .. بكل البيوت.. بكل القلوب والأنفس والأرواح يا سوريا الجريحة..

سأغيب .. على حافة الاستمرار..على رصيف الموت وصلت.. الذكريات تقتلني.. العصير الأحمر بليلة احتفال يمزقني وكل قطرة منه تكوي عضوا وراء عضوا.. للموت أوصلني العصير الأحمر... الوقت الأسود الذي يكبر وكبر إلى سنوات أماتنا أحياء...سوريتنا تحتضر.. انجدوها..ساعدوها .. أسعفوها.. أنتم من مازلتم ورائي..يا من سأترككم أحيوا الوطن..

لن أمنح.. لن أمهل لروحي لحظات....ذهب الأهل .. تلاشى الوطن.. لمن أعش أذن..

لِمَ أحيا وأبقى والحلم تبخر.. الأمل احترق.. الإصرار تحطم.. التحدي تهدم..

يا روحي بقلب ذاكرتي أنا سجينة.. أسيرة أنا في هذه الذاكرة السوداء.. بقلب المأساة والألم والحزن..الدمار.. أنا معتقلة إلى متى؟ لا أدري... أنا حكم عليا بالإعدام .. كل الذي حولي الإعدام أهداني..

مهلا .. توقفو .. لا تطبقوا الحكم عليا.. أنا من سأطبق الحكم الذي أستحقه.. أنا من سأعدم نفسي بنفسي..

لا أحد يتقدم نحوي.. وراءا تراجعوا.. أفسحوا لي المجال.. وحيدة اتركوني لأن الروح ستسئل النفس عن آخر أمنياتها ..

لا ولد ...لا بنت ..لا أهل .. لا زوج .. لا أحباب من أجلهم أكافح .. من أجلهم أصمد وأتحمل .. من أجلهم أصبر وأكمل.. أتحدى وأجاهد ..

فأنجح وأنتصر...يا روح عفاف معي أغمضي عيناك.. دعينا نرجع الى يوم احتفال..

هل تري يا روحي سماء الربيع طلعت وأشرقت .. نورت البيت الذي فقد الكهرياء لملايين الساعات..

أمي تقول والكلام بمقطوعة الفرح وصل لي .. ها قد جاءت السماء بعد طول انتظار..بيوم أردنا أن نجعله سعيد رغم أن السعادة تبرت منا.. جدران البيوت كشف عن وجوهها للسماء.. فالكل محتاج إلى النور ودفء الرحمان....هلموا هلموا إلى طاولة الغداء يا أحبي... بهذه الجملة الأم نادتنا..اجتمعنا منذ فترة كلنا..

ككل صباح ..كل رجل بالبيت يشق طريق البحث عن عمل لإتيان الضروري ألا وهو الأكل والشرب..وأي أكل وأي شرب .. كل منا يسحبها من حدود فمه الى مقدمة فم أخيه..

الواحد من شهر مارس كان استثنائي منذ حلول الاستثناء على سوريا .. الكل كان موجود على طاولة الغداء المحتشمة ..

لكن الاشتياق لمثل هذه الجلسات جمعا كنا .. لا الطعام العاري اليتيم سبب لمتنا واجتماعنا.. حبات زيتون أسود.. خبز يابس صاحب الأيام.. طماطم ذبلانه ولونها أزرق راجع لزعزعة كيانها وسكنها بالخطر والخوف..الجبن نص بلون والنص الأخر صوف بلون أزرق.. إبريق شاي خفيف جدا ....

أكلة أوراق العنب محشية بلب خبزمبلل في الحليب.. القليل من القليل جدا من الخضار التي تشبه الخضار...أجسامنا صارت نحيفة ..جد نحيفة..السبب ما يفتقده الجسد من تغذية..ما تحتاجه..ما يتلاقاه الروح والقلب من خوف ومصائب.. من آهات وآلام وصدمات...نحافتنا لا تهم.. قلة معيشتنا وانعدامها لا يهم.. الراحة والأمان..الاستقرار والأمن..العيش أحرار وبسلام هو الذي يهمنا..هو الذي نريده.. غذائنا هو أيتها الروح..

جلسنا .. أكلنا.. حكينا.. ضحكنا.. الحب والشوق.. الذكريات الرائعة كانت جالسة معنا..السيء طردناه من حولنا..

ها ها ها..ضحكاتنا كبيرة وواسعة كانت..أخذت أكبر مساحة من جلستنا ومنا..أخذت القسط الأكبر من الوقت ..

هاها ها ها..أول النطق كانت.. هاهاها من الكلمات .. الأحرف سرقت..هاها ها ها الضحك على حالنا لا من سعادتنا..

رغم خفة الشاي لقلة ونقص بنه إلا أنه كان أطيب شاي ..خفف من أرواحنا..من أحزاننا وألامنا...وقتها..بوقت في الحفلة نفسي كانت تتساءل ما هذه البرودة التي نحن فيها؟..هل فعلا تمكنا من التخلص مما نعانى منه..من أين أتينا بهذه الابتسامات؟ .. الابتسامات التي لم أكن أراها مزيفة وإن كانت هكذا ..فأنا بداخلي..عند اعتقادي ..عند اعتقاد كل واحد فينا

أنها فعلا صدرها القلب...غافلين.. ناسين .. جاهلين.. أن الحياة أضحكتنا في الدقائق الأخيرة.. أوهمتنا ..ضحكت علينا.. أوهمنا أنفسنا... الرحيل تقرب.. الوداع حدد موعده.. الموت .. الموت رحيم عن الانسان.. رحيم لأنه أفرحنا صح ومع أن خاتمة الفرح الحزن.. إلا أنه أفرحنا في وقت ومكان لا وجود للفرح فيه..أخذنا جرعات مسكنة للألم.. اسم هذا المسكن .. اسم هذا الدواء.." السعادة الكاذبة" .. "السعادة الوهمية".." الفرحة الخائنة" .. "البسمة المغشوشة "... أخذنا حبات ..تخدرنا.. نام الحزن ..سقط مؤلمنا.. آلمنا بلا وعي.. لساعات.. عند الاستيقاظ.. عند نهاية المفعول والمنشط..سريع الانتهاء كان.. فعاليته ضعيفة ... أفقنا على مصائب .. على كوارث ..

السوري ..سوريا لا تسكنها مسكنات العالم كله..

استيقظت عفاف على واقع دمرها.. دمرني.. لم أصدقه الى اليوم.. لغاية هذه اللحظة... واقع كان الأخ الأكبر لاستعابي.. مهما حاولت توقيف الزمن للحاق به فهو أكبر مني ..تبنتني الوحدة وأنا لا أريدها.. لا أتحملها..لا أطيقها صراحة....للوحدة قلت أغربي عني.. عني تخلي..بالبعيدة كثيرا ودوما كوني..

الشيء المتعب..الشيء المؤلم يشتهي تعبي و ألمي وصعوبة تحملي وعيشي واستمراري.. ما ذنبي؟ ذنبي أنني سورية عربية.. ذنبي أن عمي معارض..

وأبي مؤيد..أم ذنبي أني لم أكن لا هنا ولا هناك.. لا مع هذا ولا مع ذاك.. ذنبي أني أطلب الحرية والسلام.

آآآه يا مدرستي .. آآآه يا حلمي... آآآه يا أملي ... سامحوني ..لم أترككم برضايا.. برضى مني .. ما لقناعتي يد في ذلك.... أجبرت.. تركتكم والقلب يهواكم..رغبتي لا تزال موصولة بكم.. لازلت أعشقكم وأود اللقاء..

يا أقلامي .. يا ألواني.. يا رسوماتي... ضاع القلم مني..استبدلتكم بقلم هو مخيلتي.. في مخيلتي أرسم ألواح وأعلق.... بمخيلتي معرض لرسامة سورية اسمها عفاف ... والله لو رأى عظماء الرسم.. فنانين الكون كانوا انحنوا تحية وشكرا واعترافا بي.... لم يحصل ما أردته وتخيلته..هل بانحناء المعجبين المنبهرين لما تنتجه مخيلتي يلحق بهم الدمار والعنف والحرب تسحقهم بسوريتنا؟ .. أم أصبنا .. وتصيبنا نحن السوريين فقط؟ .. انحنينا للحرية والسلام.. للأمن والاستقرار..انحنينا فأرضا دفنا..

عذرا أيها السوري الأخ.. عذرا يا وطني.. عذرا يا عدو.. عذرا يا طاردنا.. يا مرحلنا.. من سوريتي لن أهاجر.. بها ولدت وبك يا وطني أموت وأدفن..

بك يا سوريا الجد مات.. الأب قتل.. وبك البنت تموت .. كيف؟ .. انتحارا.. استشهادا.. قتلا.. طبيعيا.. سوى بك أدفن.. وترابك فراشي

وغطائي يكون.... من ترابك يتغطى قبري..الفراش لي يكون تكرارا أكررها..أبي يناديني.. ينادي ابنته عفاف ب "زهرة مملكتي "... ومرات ب " قرة العين ".. ب " بهجة الروح "... أخي الأصغر.. أصغر مني .. هذا الأخ ب " دميتي المدللة " يناديني.. ب " لعبتي المحبوبة ".. ب " رفيقتي المخلصة " .. المخلصة عند الدمار..اليد الممتدة لي وأنا على حافة النار والخطر.. منجدتي .. مساعدتي.. معالجتي أنتِ عفاف.. ب " أمي الصغيرة" ..الأم الصغير لحمزة أنا..ابني الصغير هو عندي..

مسميات كثيرة وعديدة ومتنوعة حظيت أنا بها .. وخصوني بها الأحباب..أنا عندهم خاصة جدا وهم عندي خاصون جدا.... أهلي بالفراشة المبتسمة البريئة يسمونني.. الملاك الهادئ قرصايا تعرفني.. شاربة العصير الأحمر بليلة احتفال بسوريا.. بكل شبر ومكان .. من هذا اشتهرت... صاحبة الوجه المبشر.. الوجه الذي رغم الحزن فالوجه مستبشر.. بشوش ومنور وجه عفاف... وجه سعيد والقلب ممزق والروح في النار تتخبط.. والعقل في الموت سوى يخطط ويفكر ويجهز..والجسد المشرد في أزقتك يا قرصايا بعشر سنابل كبر... الجسد.. جسدي المغتصب لثياب العيد يفتقد.. عاريا وكسوته ثوب تحرر من نار العذاب..

الفستان.. فستان أحلامي.. من سوق السلام .. من محل الراحة و الأمن والسلام تم شرائه بالمجان.. بالإهداء لعفاف يقدم.. صدقة يمنح لا بأس في ذلك..

مشتاقة للاهتمام أنا.. لا أحد يهتم بي .. الحب من حولي اختفى.. سببه لا اهتمام..

الاهتمام إنسان غاب ورحل من عالمي.. من عالمنا.. مات ولم يكن له وارث وحتى ورثته ماتو معه... كل شيء كان متوفر .. موجود بيوم الاحتفال.. ضيوفا هم كانوا... كل شيء جاء لتوديعنا.. لتوديعي..ومن هذا الوداع لم ننتبه.. لا بالأذكياء كنا..لم نكن.. الانتباه خاننا..... فتحنا الباب.. الأبواب استجابت لاستقبالهم..دخلوا.. جلسو.. أقامو معنا الى غاية حلول ليلة الاحتفال.. أين غادرو بعد مكوثهم قليلا..كالظل الخفيف القصير كانوا... انصرافكم يا كل شيء.. رحيلكم جلب.. أدخل عكسكم وضدكم..بأعلى صوت ناديت.. ناديتهم.. ناديتكم بالدمع.. بالتوسل ..

بالترجي..بالإمساك.. لكن.. للأسف.. يا أسفاه..السفلة .. الوحوش.. أصحاب اللذة الوحشية الإجرامية قطعوا الطريق بيننا..أمحوا كل ما يوصلنا لبعض ويوقعنا في نقطة اللقاء المشتركة التي يصعب تفكيكها وإخفائها... هم ذهبوا ونحن بقينا..هم نجو.. ونحن بالأيد العاشقة للدم وقعنا..

أرواحنا بقبضة الذي لا يرحم كانت..أمام أرجلهم كالزربية الممزقة انفرشت أجسامنا.. أرواحنا...معاقبنا فرشو وألبسو أرضية المنزل طهرنا وبرائتنا بمشاهد رعب وهلع لا يقوى القلب الرحيم ..الحنون على مشاهدتنا .

عفاف.. عفاااااااف.. يا عفاااااف كفاك.. كفاني كسلا وتهرب....هيا عفاااف.. هيااااا فلم يبقى أمامنا وقت والكيك على وشك ظهوره الأخير.. أنا قادمة يا أمي ..ها أنا أمامك... بما تأمرينني؟.. سأفعل..بسرعة كبيرة أجعلك تنبهرين مني..

هاهاها.. حديثك كله مسلي يا ابنتي.. المشكلة أنه ليس لدينا وقت للعب واللهو والمرح.. فلا بد لليد أن تنجز.. واللسان يستريح..عمل اللسان يبتدي عند استراحة اليد والجسد..

منك يا حبيبتي تعلمت عند الفعل لا مكان للكلام..فالكلام يذهب التركيز.

.منك يا أمي الحب تعلمت.. منك عبر الأزمان عشته وأنا غبت... والله منك واجهت العصر والقدرا .. رسمت الأمل وكبرت..

لكي يا أماه .. لكي الروح أفدي وللتضحية خُبِئت.. لكن الدم أسكب فداء بقائنا ووجودنا معا..معكي أكون..

هل أنتي تشمين يا أمي الرائحة العطرة المنبعثة من الفرن.. من الكيك المحمول بيديك..لا أقوى على الصبر أنا.. لا بد للذوق عند عفاف أن يستريح... حسنا ..حسنا..مدي اصبع من أصابعك العشر فوق الكيك..يلتصق طلائها ..الطلاء الذي تلبسه الكيك..منه نعطي تصبيرة صغيرة لذوقك الى أن يحين موعد العزف على أغنية.."عيد ميلاد سعيد "بصوت.. بأصواتنا الكل.... الصبر جميل يا صغيرتي..

الصبر في أوضاعي يا روح عفاف ليس بالجميل بتاتا....حتى الصبر صار عدوا لي مع أني صاحبته.. رافقته طيلة حياتي.. طيلة معاناتي.. .. الصبر صاحبه السوريين.. لا يزالون في صحبة متينة.... عذرا يا صبر لا أقصد جرحك.. لا أقصد التقليل منك.. لا أقصد إهانتك..لا أقصد نكر فوائدك..وأنك الفرج.. لكن عفاف تؤمن.. عفاف تقول " الصبر إن طال زال وده "..

كيف أصبر وحازم..زوجته سناء.. أولادي الثلاثة التي لم تحملهم بطني.. لم أنجبهم.." إسلام.. رؤوف.. رنا" ..هؤلاء لم يعودوا كقبل يلعبون..معهم أجري وأختبأ ..برائتهم من برائتي.. معهم أنا.. عفاف معهم ابنة العامين..

أين أنت يا ماهر.. أين أراضيك يا مصعب.. اشتقت إليكم..شوقي يقتلني...هل التقيت يا ماهر .. يا أخي العزيز.. أيها الغالي بزوجتك هدى وجنينها..ابنكم الذي لم يرى النور سوى بالجنة.. هل تم اللقاء؟ ..أريد

المعرفة.. أود الاطمئنان عليكم..أنتم بالجنة سويا متأكدة .. أحياء وتنعمون بأفضل حياة...ها يا ماهر قد لحقت بكم.. بعد وفاتكم في حادث مروع بنفس مكانكم رحلت ورفعت.. العدو بصاروخ وجه باتجاه منزل عائلة هدى أين كانت بزيارتهم..العدو نجاها من نار الفراق والألم لغيابك... لم.. لن أنسى مشهد جنينكم.. ابن أخي الذي بقي على ولادته أيام وهو يقول "كفانا" .. من بطن أمه خرج يبكي.. أنين بكائه لثواني لم يصل .. تحول بكائه الى بسمة بها شهيد لقب .. الجنة معكم سكن وفاز...أعلم أنا .. عفاف أختك تعلم يا ماهر كم تألمت لفراقها قبلك الذي لم يطل وكنت أنت بجوارها...حزنك يا ماهر الكبير ..حزنك الكثير..ألمك الضخم..ألمك العظيم.. حزنك.. ألمك أوصل بحبك الحقيقي شهيدا في قبر وضع .. الروح طارت الى السماء.. ما فوق السماء.. فوقها فوقها.. عاليا... اشتقت إليك.. ملهوفة لرؤياك يا مصعب.. يا شقيقي الذي لم تلده أم..أنا قريبة الوصول منك.. اليك.. الخبر المبشر المسعد لك معي أت.. ستفرح به....حبيبتك.. خطيبتك سلاف انتظرت موعد اللقاء..انتظرها يا مصعب فعلى وصولها إليك بقي القليل منه.. على قدومها عندك حان..استقبلها .. بدقائق تستقبلني.. نجتمع الكل بجنة الرحمان.. بمكان... سنكون سويا بحيث لن يتمكن العدو من الوصول إلينا..لا للموت أن يطرق أرواحنا.. لا للخوف والألم أن يقترب منا.. سنبني حياة كما نتمناها وأكثر..سنجتمع

من جديد وأي قوة لن تفرقنا..لن تزعزع كياننا فالقوة الالاهية ستحمينا والملائكة ستحرسنا...هناك..في الأفق بكثير سوف نكون ولسوريتنا ندعي ونصلي..فهي بالقلب ولن تموت سوريا..هي الروح التي ستحيا من جديد.. وهذه المرة لن يكون هناك لقاء بينها وبين الموت..

إخوتي.. اخوة عفاف.. كنتم الذكر والأنثى..لم أشعر يوما.. لم أتمنى.. لم أتحصر على أنه ليس لي أخت..كنتم الأخ والأخت ..بكم عفاف تفتخر..عند الحديث عنكم تخاف نفسها أن تحسد... نعم الاخوة كنتم.. دمعتي على أيديكم المارة بحنان عليها جد محتاجة أنا..لهذا.. على هذا اعتادت دمعتي..من الشوق القاتل حنفية تسيل دون توقف يا أحبتي..

تبا لكل من فكر .. خطط.. نفذ لعملية إبعادنا وتفريقنا.. لعملية تدميرنا.... مغفلون .. أغبياء ..نسو أن عائلة محمد ديب طاهر أن الموت قربهم..جمعهم..ببقعة لن يدخلوها ومنها عليهم نرى عذابهم الأعظم المنتظر..نهايتهم المشينة.....أفرح يا قاتل..أسعد يا عدو..اليوم أنتم فزتم.. غدا موعد فوزنا ..عليكم فزنا.. بالدنيا خسرنا ..وأنتم كسبتم..بالآخرة نحن نضحك وأنتم خاسرون..تحترقون والسوري البريئ المظلوم لاحتراقكم يتلذذ...

ليلة احتفالنا ستمر عليها آلاف المرات ونحتفل يا مخربها..يا ناهيها..يا محولها لأبشع ما يكون..

آتية أنا يا أحبائي.. يا أحبتي..آتية وبالتكرار المرار نكرر.." احتفالنا بكل ليلة سنقيم احتفال..ننهي بهم حرارة الشوق وسمه ...نعيد سيناريو احتفالنا الأخير .. نبدأه.. نتوسطه.. نختمه فرحا وبهجة مثل ما بدأناه... رقصا على أوتار وموسيقى الراحة والأمن والاستقرار نحييه وننهيه....سأرقص وأغني ليلا نهارا..هكذا ستكن عفاف.... كل شهيد.. مظلوم سوري بحالتنا.. أكبر من حالتنا.. أقل من حالتنا مع أني لا أظن وأتوقع وأصدق..سيكونون.. يرقصون لغنائنا..من غنائنا يرقصون.. رقصا غناءا .. غناءا رقصا..نشتركون.. نتبادل.. نتشابه..نتساوا ..

لرحيلي.. لموتي..ليست بالحزينة عفاف..بالفرحة المتشوقة.. الراغبة.. الملهوفة.. المستعجلة.. المسرعة هي روحي للموت..

سئمت من الحياة.. أنتم الذين فوقي خلصت من الحياة..أنا سأتخلص .. سأخلص حياتي المأساوية الوحشية المرعبة المخيفة الخطيرة مني...أنتم بعثتكم الدنيا الى دنيا ما أحسن منها..عفاف الى دنيا الأحبة طالبة.. راجية للانضمام إليها..والعيش الأبدي معكم فيها..

منذ ليلة الاحتفال..قبلها يائسة .. كارهة عفاف.. بعد ليلة الاحتفال ميتة الوجود والانفعال والتواصل مع الحياة أنا...

بعد ليلة احتفال لم يتغير شيء... تغير كل شيء..إلى الأسوء توقفت وركنت بي المركبة.....لم تعد تهمني الحياة.. عفاف عندها الحياة لا تهمها.. رغبة

الاستمرار وتقبل الحياة هذه.. مع الذي غادروني.. غادروكي يا حياة..معهم غادرت..لست أنا فيكي..لا أحس بالحياة فهي لم تحس بي... بسوريا لم أعد أقوى .. لا بمستطاعي التحمل والعيش أكثر بأراضيك يا وطني..خارجك يا سوريا.. أنا سمكة إن خرجت من البحر تموت..

ليلة احتفال خانتنا.. أدخلت على حفلتنا الغرباء..بالقوة دخلوا..لم نعلم.. لم نخبر.. لم ندعو أحد..حفلة في اطار عائلي بحت كانت وفقط.... من أخبرهم أن هناك عائلة بسوريا..بقرصايا تقوم بتحديث المعاش..غيرته باقامة حفلة..قررت فيها القلوب والأرواح دخول عالم السعادة والفرحة قوة واحتلالا، ومهما يكلف يكلف..وبالاختلاف عن كل منزل سوري نتميز ونكون..

أيتها الروح.. يا روح عفاف.. هاهاها... منا العدو غار..هاهاها.. دعيني أضحك.. أضحك .. أضحك.. هاهاها...

جدراننا ملونة...أسقافنا بالونات...الأرضية بالأرجل ممتلئة..الوسط بالأوجه المبتسمة والقلوب الراقصة الطائرة فيما بينها..من حيز بيت محمد الذيب طاهر لم تخرج.... قالب الحلوى.. من حولنا.. من حوله ملتفون.. راغبين في لمسه..مشتهون لتذوقه..والبصر جد فرح بوجوده وجلوسه الملكي بيننا...

صغيرتي المدللة .. بنيتي الغالية انصرفي أنتِ وأمك من المطبخ الآن.. انصرفو فرب الأب واقفا يؤمركم بذلك الحين...

أختي العزيزة عفاف .. أين أنتي.. "عيد ميلاد سعيد... حازم وزوجته .. الثلاثي المرح معهم .. ها قد جاؤوا... هل من ترحيب؟ ...

أمي .. يا أمي.. أمااااااااه... يا والدة عروسة الليلة..ماهر لا يستطيع مقاومة ما بالمطبخ...

عفاف يا سندريلا ليلة الاحتفال..مصعب قلق بشأن مرور الوقت.. من ضياعه وكل واحد بمكان..عجلي.. عجلا..فصالون البيت سينطق من تأخركما.. السعادة مستعجلة ومتى رحيلها لا نعلم.. فعجلوا رجاءا..

أيتها الملاك.. يا حبيبة الوجدان..أنتِ يا عفاف حمزة خائف وأنت بخطوات بعيدتان..حمزة لعصير ليلة الاحتفال ينتظر.... حمزة يتلذذ لعصير البرتقال الممزوج بالليمون المجهز المصنوع من أيدي أميرة الحنان والطيبة .. ها أنا يا من بأرقى الكلمات والأسامي تنادونني... ها أنا يا من سعادتي بسببكم وبوجودكم... ها عفاف .. ها أنا جئت.. قدمت..ملبية نداء كل واحد...

هأنا أمامكم وجد سعيدة لتواجدكم..لتلبية دعوة الاحتفال بي ومعي بيوم زيارتي إلى هذه الحياة قبل سبعة عشرة سنة..من هذا اليوم رزقتم بي ورزقت بكم.. كنت هديتكم وكنت هديتي...منكم أنا...مني أنتم... الحياة لم تبخل لا علينا ولا عليكم بيوم فرحة واحد .. الحرب التي بسوريا دفنت فرحتنا ..

فرحتي للأبد... ها أنا وأشكركم على محاولتكم لإسعادي وخلق جو مغاير مليء بنسمات البسمة لي ولكم... هأنا وحمدا انتصرنا انتصار وقتي .. مؤقت على النزيف الذي غرقنا في نهره.. لا هو بحر ففي بحره..من بحره استطعنا.. تمكنا السباحة والوصول الى شط السعادة والجو المريح بإقامتنا لهذا الحفل الذي أود أن يكون مقام بكل ليلة ولكل فرد منا..عندما ننتهي نكرر...لا تكفيني عيد ميلاد واحد.. لعفاف عشرة.. لك عشرون.. الأخر ثلاثون.. الأخير أربعون.. بهذا تكون كل أيامنا احتفالات.. كل أيامنا أعياد.. وإن كان الحزن.. إن مازال الحزن يلازمنا.. معنا ندخله في الاحتفال..تتغير.. نغير ملابسه..زيه.. وبلياليناً يتألق.. معه نتألق..هأنا.. هأنا وأنتم معا..اتحادا.. رغبة جماعية أوجدنا السعادة..خلقناها.. أحييناها بعالم وكون ومحيط الحزن.. الألم والمعاناة... ها قد جلبناها.. فالشخص له أن يسعد نفسه.. يسعد من حوله..هو مفتاح السعادة .. له قفل الحزن..لكن.. لكن.. لكن.. بوضعنا.. بمكاننا.. بسوريتنا.. كل شيء ليس للابرياء يد فيه..صعب جدا تغيير ما آلت إليه وردتنا التي رائحتها غابت..ذبلت..لونها يتغير ويخيف البصر ولا يطمئن القلب ويريح الروح والنفس..

هأنا.. أتمنى.. عفاف تتمنى أن نبقى جنبا لجنب بكل الأوقات وتحت أي الظروف... هأنا..القلب كبر .. انفتح عند انفتاح الصدر.. فريح الراحة

عليه دخلت.. أحيت مشاعر وأحاسيس الاطمئنان والفرحة و.... هأنا.. يا من أعرف العيش سوى معكم.. معهم.... ها أنا.. يا من بكم ومنكم الشجاعة تعلمت وأخذت.... هأنا .. يا من أنتم الهواء والأكسجين الذي يمنح لروح عفاف الحياة الحقيقية.... هأنا .. يا من لبعدكم أنتهي.. أموت إيه والله.... ها أنا .. يا منابع الأمان والاستقرار.. الراحة والسلام... هأنا..بينكم أنا..عفاف بجواركم..معكم أضع يدي فوق أيديكم..أدخل الأصابع في عنكبوت التمسك واللا انفصال.. هأنا.. ليس لي مكان الا حولكم.. إلا بالقرب معكم.. إلا بأوساطكم... هأنا..الروح والجسد الذي به عفاف أمنحها هدية .. تضحية فداء بقائنا واستمرارنا هكذا.. دوما وأكثر... هأنا.. أنا مصطحبة معي أساسيات الحفل.. تورتة عيد الميلاد الصغيرة.. باليمين هي.. إناء العصير باليسار..عليهم نتشارك..نتقاسم الضحك وأهاته...الرقص واهتزازاته..الغناء ورناته..الأكل مع قناعاته.. قناعاتنا... هأنا.. فاليصفق الجميع..من حولي دائرة مشكلة.. مركزها تورتة وعصير..على حواشيها الأحباب... هأنا .. أغني..أغنية العيد ميلاد معكم أرد...بصوت ناسي للحزن.. لا بالحزين... غابت نبرات الحزن في صوتنا... هأنا .. أنا وضعت.. عفاف وضعت الأمنية ببئر صمت اللسان... بنفس أسمعها.. لكم أعلن ما سمعت..معي.. كل واحد بعيدي..يتمنى ... الكل يتمنى..كأن العيد عيده.. عيدهم... عيدي

عيدهم... ليلة احتفال هته خصصت لنا .. هذا الاحتفال المتواجد هنا به.. هو عيد احتفال .. به.. فأنا وأنتم.. أنتم وأنا.. نحن.. إيه والله عائلة محمد ديب طاهر جسد واحد..أرواح إن اجتمعت كانت بالروح الواحدة حتما.. أكيد.. طبعا..

مهلا .. مهلا..أبعدوا الأيدي.. أنزلوا الأصابع.. التصفيق أولا... تلحين أحزاننا وآلامنا في مقطوعة مفرحة .. شفافة.. مرتدية لدربكات ونغمات مرقصة..مدندنة..التصفيق معها.. التصفيق مساعدهما.. صفقوا اذن.. صفقوا.. نصفق..صفق..أصفق... عفاف.. عيدها الجديد.. عيد ميلادك.. ميلادنا..عن الحزن العيد بعيد.. نحن بعيدون..عمرنا الآتي سعيد.. سوريتنا قريبا تعيد.. البعيد يعود.. القريب بالاستيقاظ على سلام الأرض يحيا من جديد... بصوت مرتفع... صوتنا في شكل أغنية.." عيد ميلاد سعيد عفاف.. "غنينا.. أغنيتنا كانت.. عيد ميلاد سعيد.. سعادتك من سعادتنا... سعادتي من سعادتكم... أيامنا أسعد بهذا العيد.. القادم أسعد.. الأيام سعيدة .. من الفرحة قريبة.. من الألم والحزن بعيدة..عيد ميلاد سعيد.. سنة جميلة.. سنة حلوة... سنة رائعة علينا..

بالأذن أصواتهم يا روح عفاف... يا روحي.. بالعين مسلسلاتنا.. بالفم الأحرف .. أحرف الرد.. قبلات لا بأس نحن هنا... باليد اللمسات والاحتواء.. بالصدر الأحضان والضمات..الدفء والحنان... بالقلب

مجزرة حولت الموجود غائب..الحي ميت..الجبان شجاع.. الرحيل لا البقاء..كسب الأخرة وترك الدنيا... مجزرة يتيمة .. مشردة .. متشردة . الروح بالسماء .. الجسد بالأرض.. حولتني... الدقائق .. السنوات صاروا.. الوقت عندي توقفت عقاربه عن الدوران..الموت في مكانه باقيا ينتظر رجوع عقارب الأزمان لأخذ الحق بالروح..

أنت يا روح عفاف.. أنت أيتها الروح .. من ليلة المجزرة.. من ليلة احتفال.. صرتي .. أصبحتي.. روحا جامدة.. روحا لم تحركها.. لا تحركها.. لا السعادة الغائبة ..لا الفرحة المنفية..لا الحلم المنتظر .. لا الأمل.... روحا سائلة بكأس .. مسكوبة فوق حجارة دائرية..موضوعة.. ريح الشرق يزعزعها.. ريح الغرب تحركها..الهزة الملساء .. بالتحت فاس يضرب الأرض.. ضربات بسابعها أكون..والغطاء عني فوق مكشوف..لا يخنقني..ولا يهويني... حجرة أفقها يحاول سحب الكأس الى العلا..الذي بينهما عدو.. حكم عليا بالموت..الموت البطيء.... يحرمني من الشهادة.. الشهادة المعجلة.. بالمؤجل الطويل هو وعدني..هو يعاقبني..روح عفاف عن الذي فيه ترفض.. تود اسقاط الكأس بقوة إرادية.. برغبة شجاعة..ينكسر الكأس فتسقط شظاياه وأجزائه إلى الحفرة العميقة وما كان بداخله.. اللعبة التي تسلى بها الكثير في الدنيا.. تتسرب هاربة إلى السماء.. ما بعد السماء لأن الأرواح التي رحلت قبلها .. هناك تنتظر..تنتظرها

بجسد..بشكل.. بهيئة.. بحياة.. بعالم..بكون جديد يردونني أن أشاركهم به.. أتقاسم النعيم معهم..

لما يا موت لم تؤتي لي الحين..الحق بي بالله عليك.. فما بعدك.. ما قبلك .. الانتحار ..النار يهديني هو... إلى الأحبة أتوق الذهاب..معهم عاشقة أن أوجد وأكون..

بأمر من الخالق يا موت تعالا..بشر الروح بانتهاء العمر.. حينها خالقي الجنة يمنحني.. يعطيني... الجحيم عشته..النار من لهيبها انكويت..وما بعد هذا سوى النعيم.. سوى ما أستحق.. يستحق السوري.. سوريتنا... الجنة بها سأكون.. سنكون..أي درجات.. أي بيت من بيوت الجنة أكون.. نكون..لا يهم..يهم أن أكون.. أن تكون.. من أهلي قريبة .. من مسكني أخرج إلى مسكنهم.... زائرة أذهب.. أطمئن عنهم.. أعيش ولو بعض الدقائق معهم... إلى منطقتي أعود.. مرة بالأسبوع أراهم..يروني موفقة.. وممتاز هكذا.. الأهم بالأرض لا أكون..

اشتهيت النوم.. لفراش مريح آمن اشتقت.... العين للأمان تحن... لابتعاد الخوف عنها هي تتوسل.. لمنجبه انحنيت.. توسلت...ركعت... بكيت ... بهم التحقت..فطلبت.. ترجيت.. أن يجعلوني ضحية ومن عليها طبقت المجزرة..... لكن رحلوا وهم يضحكون.. لم يسمعوني.. تعمدوا ذلك... هم يعلمون أن لحظتها مت..وحية لازلت.. لا أزال.. جدا للنهاية قربت..

المشاهدة قتلتني.. شاهدتهم طارحين.. قتلة.. ميتين.. جثث بشعة... مخرج فيلم فسحتنا مع الموت..من الأموات أنا.. من الأحياء الأموات عفاف..كنت.. لكن طريقة قتلي .. عن القتل المعروف ابتعدت..بالنادر من النادر الحصول قتلت..

لم أكن أتوقع... أتخيل..أنه في يوم من الأيام سمائنا ظلماء... مظلمة بشدة تصير.. النور يتبرى منا..سوى التعب.. المعاناة طعامنا اليومي... ودماء المظلومين والضعفاء .. الأبرياء.. ماء نشربه..نراه كل لحظة.. متوفر بكل الأوقات...نجبر على شربه..تحاصرنا الينابيع..الحنفيات المتسربة تحت أرجلنا...وبكل مكان..نذهب معه.. تجرنا.. قوة الدماء الجارية.. تجرنا الى أين؟ .. إلى ما أرادت... الأحمر يلازمنا..غيرنا.. لون أحبه.. كرهته لأنه لون الدم..

الأنابيب أوصلت بحر الدماء الى محيطنا الجديد.. الهاربين اليه..فاضت السدود وامتلأت ... كنا .. لا نزال أسماك أليفة .. خائفة من أنفسها وهي في هذا البحر.. خائفة بما فيه... من نهر إلى نهر.. من شاطئ إلى شاطئ يوصلونني.. منه يسحبونني ثانية إلى نهر.. إلى نهر ببحر صار..

رقصت كثيرا..رقصنا مع الحياة والموت... الدبكة حركت الأجساد إلى حركات جنونية..رقصات لم توجد بأيها زمان ولا مكان..... رقصاتنا.. رقصتي.. رقصتكم ..بالجديد كانت.. بالمختلفة هي بسوريا.. بقرصايا..

ببيتنا.. عندنا كانت... نرقص ولا نعرف إن كانت الفرحة الخائنة.. المخادعة السبب.. أو الحزن الذي فينا إلى جنون تحول..إلى مرض علاجه الرقص على ألات الموت ... الوداع والقتل.. السفك والسفح والسلب.. نرقص .. نغني.. نحوم ولا ندري أن الأرواح تتهيأ للرحيل..للخروج..لا نعلم أن عزرائيل الإنسان آت في هذه الأوقات..على أثر هذا الجو الذي فعلا.. والله يا روح عفاف نسينا فيه من نحن.. فقدنا الإحساس بالموجود.. بالخارج..

التورتة قطعنا.. إلى جدران .. حائط رقيق.. بالمتوسط قسمنا تورتتنا.. في الصحون وضعنا لكل واحد نصيبه من عيده..من حلاوة حفلتنا..من رمز ليلة الاحتفال أصحن بها قطع التورتة بالأيد حملنا... الاصبعين .. بالارتكاز الثلاث الملعقة حملنا... رجفة اللهفة إلى التذوق تقطع تسريحة جدران التورتة .. بشراسة أريد التذوق...الذي أكمل صحنه ...الذي أعطى من نصيبه المتبقي للذي لا يهدي الجوع .. الشبع.. رغبة المزيد عنده...استعنا بالفناجل ذات الحجم الصغير...ملأناهم بعصير الأخوين من الفاكهة ..البرتقال والليمون..المخففين بالأخ الروحاني ..الماء.. شربنا.. تعصرنا لحماضة الليمون.. الحماضة التي بدأت تفتح الأحضان لحماضة النهاية..لحماضة الوداع المفاجئ بمفاجعة مخططة.. بكت لها السماء فأمطرت.. صاحت لها الأرض فجفت...

قلنا لا للنوم الليلة ..النوم لم يسمعنا.. ألبس الأحبة النوم الأبدي.. لكنه نوم مريح.. للأمانة والشهادة جد مريح نومكم يا أحبتي... أدخلهم الغيبوبة.. غيبوبة غطائها.. فراشها تراب .. غرفتها قبر ..وأي قبر .. قبر الشهيد وما أدراك ما الشهيد..

هم ناموا.. ارتاحو.. وعفاف لا تنام..تنام على خوف وبكاء.. ترى كوابيس.. مشاهد تطرح النوم فزعا في الحين..تزداد دقات.. نبضات القلب..يتشتت العقل.. يهتز الجسد.. والروح تتهيأ للصعود.. تغمض عيناها لترى الراحة ساعات..نفس الشبح بالنهار يلحق بها ليلا... يستغل وحدتها.. وحشتها..يفعل بها فعلته الأخيرة...

رغبنا .. أردنا أن نلبس الأسود في ظلام أسود .. داكن..لا قمرا.. لا نجوم بالسماء... أردنا أن نكون نحن نجوم بسماء الوطن.. بليلة الاحتفال.. فنسكن هذا الليل.. الليلة.. نحمي أرواحنا.. نضيء كل الزوايا والبقع بسوريتنا، ليستطيع أن ينام ويهنأ السوري بليلته هته... لا ينام.. هو خائف..محتاط.. سوى ينتظر دخول الخطر عليه..وخنقه بأي لحظة... هو ينتقل من هنا .. إلى هناك باحثا عن مأوى رحيم .. بليال يرحمه..

أكون أنا قمرا والباقي نجوم.. أو أحدنا قمر والباقي نجوم.. كلنا قمرا ونجوما..

لا يهم.. لكن تمنينا.. تخيلنا.. كنا هكذا فوق سطحنا... نعلو مأوانا.. كنا القمر والنجوم... عدد النجوم لم تطرد الوحوش النهارية..ولا الأشباح الليلية..

عجزنا.. تحالفت الدنيا والقدر والزمن علينا.. غلبونا...جثث صغيرة وكبيرة.. أرضا أرضا.. بالعمق العميق حطوها..وبالعالي علاء رفعنا.. نسوا ذلك...تمنيت أن نكون أجساد مطاطية.. جسد لحمه حديد.. شيء صلب يتصدى للرصاص.. يطرد السلاح الأبيض.. يقاوم للمفجرات... لا يتزعزع.. لا يتغير.. لا يتحول بفعل القنابل والصواريخ.... رغبت بأجساد حديدية.. لا يؤثر فيها الرصاص.. لا يمزقها السكين.. لا تنزف دما.. لا تتخبط الأرواح عذاب مرات مرات....أجسام شفافة لا تمسك.. لا تستهدف... يصعب تحديد مكانها..نراها ونعجز في الوصول اليها...

أردنا ... نريد أن نموت بسلام.. نريد أن تهنأ أرواحنا.. ترسل الأرواح.. الأجساد بكرامة..نود أن ندفن الجسم.. الجثة ذات جثة مكتملة.. ها هو الرأس.. ها هو الرجل.. ها هي اليد .. ها هي... و...

بلا جروح.. بلا بقع.. بلا أثار.. بلا حفر.. بلا دم يغير ملامحنا.. دون بشاعة تزيح الجمال الروحاني والظاهري عنا..بلوننا نظل

ونرحل...الخوف.. الجوع.. العطش.. الحرمان.. الحزن..يقتلوننا..

يقتلنا...دعونا نموت بلا استعمالنا لألاتكم.. دون لعب دور من يتلذذوا

علينا في الانتقام.. في القتل.. في ... دعونا نرحل بسلام.. نرقد رقدتنا الأخيرة بلا تطبيق أبشع الطرق.. طرق التعذيب.. وسائل القتل..و... علينا.... افهموا نحن بشر..ان كنت.. كنتم فعلا بشر ستفهمون..... لستم ببشر.. مستحيل...أنتم بغير ذلك.. من أي فصيلة أنتم... من غير فصيلة البشر أنتم...متأكدة..رجاء لا تقنعوني.. بغير هذا لن أصدق..

لما أوصلتموني لما أنا فيه.. إلى الانتحار قرارا نهائيا دفعتموني..منكم لله.. حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا محطمنا.. يا مهدم سوريتنا.. يا عدونا لنا رب كبير لا فوقه أحد...أنا... عفاف إنسانة والله كرمني..وأنت.. يا عدوي.. يا خائننا.. أهنتني..لماذا ؟.. أريد الرد.. لأنني بنت معتقل سابق..لأني بنت منتمي إلى الإخوان المسلمين.. أم لأني بنت الجريحة النازفة..لماذا ؟ .. بالله عليكم أحدا يخبرني... يا روحي.. يا روح.. أيتها الساكنة بي بعد هدئيني رجاءا.. لا أقوى على الانفعال .. قويني.. على الرد ثبتيني... كتابي لم تكتمل أحداثه بعد.. أيتها الروح قبل نطق الكلمات الأخيرة كوني قد وضعتي النهاية..هيئتي إليها..سويا نطبقها... إياك يا روح تخالفي الاتفاق..تسقطي القرار.. إني لا أود التراجع.. اهدأي يا عفاف .. اهدأي.. اهدئي أنتِ كلك.. هيا براحة وتأني أكملي.. أقلبي الصفحات .. بعد زيارة كل واحدة نمزقها.. ترحلي فارغة.. تاركة الأوراق ممزقة أي نعم.. كما مزقت أيامك .. وتكسرت أحلامك.. وتحطمت حياتك وأحرق

عمرك.. نحن نأخذ ونسرق من اللحظات والدقائق القليل من ساعات الراحة والسعادة... كان الحزن والخطر.. الخوف.. بيننا جدار .. يجهز نفسه لكسره وازاحته من الدخول الينا..

الوحوش البرية كانو ملثمين..الأعداء لبسوا الأقنعة الوحشية.. قلبو القلوب ناحية السواد والجماد.. بثلاجة اللاشعور.. اللا شفقة.. لا عاطفة وضعوا الإحساس والشعور..العاطفة والقلب لوقت.. تجمدوا.. غاب الضمير معهم.. تحول الصبر إلى عاشق .. إلى مشاهد للأرواح تتخبط... الدم يتطاير.. العضو عن العضو ينفصل.. الجثث الأرجل مرمية... أظن أن هناك دواء أيها العدو تتناوله.. يساعدك على فعل فعلتك.. لإنتاج البشع .. الذي لا يتصور.. ليس لقلب أن يفعل ما تفعلوه.. وفعلتموه.. لا يعقل ما يصدر منكم... من اين أتوا بهذه الجرأة والشجاعة.. أين درسوا وتعلموا طرق القتل والتفنن فيه.. أي مدرسة تخرجتم منها.. أي أسرة تربيتم وترعرعتم فيها.. الى أي دين .. أي دين تتبعون.. لا دين لكم .. القلب فرح.. الوجه مبتسم.. لذة القتل والتعذيب عندهم.. عندكم لا تشبع..ليس لها من النهاية نصيب... هم جراثيم .. لا فيروسات.. لا أمراض تحيط بالأجساد.. تحاصر الأرواح.. أشباح مطاردة.. مرض خارجي يقضي على غطاء الروح.. يمزقه قبل تمزيقها..لا يدع لك فرصة للعلاج.. الدواء مفقود.. مقطوع.. لا وجود له.. لم يتم اكتشافه بعد.. لا لأخذ الدواء..

تمرض من هنا .. تموت من هناك... غطوا أوجههم ..سوى الأعين تركوهم.. كشفو عنهم.. ليرو أفعالهم.. جرائمهم.. ليرو ونحن نتوسل.. نترجاهم.. نحب على أيديهم.. نركع لهم.. نسقط أرضا آخذين الرجل لتقبيلها.. ليرو أنهم فعلا تم القضاء علينا.. الحياة سلبت منا كليا.. لا أمل من النجاة أبدا.. وأخذ النصيب الجيد..

نحن مازلنا بالجو الذي اخترعناه.. خلقناه..هم بالجو الخارجي يحاصروننا.. يحاصرون فرحتنا .. سعادتنا يسحبوها من الداخل الى الخارج بسرعة كنا نحس بها..تم اخذ الجميل منا بطريقتهم الخاصة....نعم بالخارج كاللصوص.. يدرسون المكان... يئمنون بعملياتهم..لهجمتهم التي فعلا .. فعلا.. جد قاسية .. قاضية على الكل سويا.. سوى.. سوى بنت السابعة عشرة كانت..جالسين نمرح ونتبادل الجميل بيننا.. ننتظر إصبعي الساعة ترن على يوم جديد.. الأشباح .. الأعداء عبر النوافذ يترقبون ما نترقبه.. يوعدوننا بالدقات الأخيرة..... مع أننا بعدنا عن جو الحزن والخوف.. الا أن هذا زاد من الخوف.. تسلق الجدران.. لا للجري والنفاذ والنجاة... تكمشت السعادة.. نسيمها بدأ يغيب.. الفرحة صارت بخار.. لا دخان يتعالا من حريق بدأ يحرق اللحظات الجميلة التي عشناها.. نار بدأت تشعل بيت محمد ديب طاهر.. من كبريت هو عدو ظالم.. يرمي كبريته على

حطب.. الحطب هو أهل هذا البيت..حطب هو نحن.. هي الأجساد.. الأرواح الصغار . الأرواح الكبار.. للذكر والأنثى..

بدأنا نسمع الخطوات وهي تتسرب.. متجهة الينا.. رغم الزحمة ..الضجيج والأصوات سمعنا.. نسمع.. لأن الخوف واللأمان.. الخطر لم يموتو من حولنا .. لم يذهبو.. ظننا بذلك..... تجمدت الحركة..الأذن كبرت.. طويلة جدا صارت.. السمع يلحق بالأحذية وهي تسير..أذننا أعين لحقت بهم ورأت الأرجل الثمانية .. الأرجل رفعت عاليا .. صوبت بضربة على الباب الذي منه نهرب .. نحاول أن نحمي أنفسنا..نضع حاجز يبعدنا ولو بالقليل جدا عن الواقع.. الحقيقة التي نود لا نراها.. لا نعيشها.. لا نشاهدها.. لا نسمعها.. لا نحس بها... بضربة واحدة.. ضربة قوية..سقط الباب أرضا.... صراخ الباب وأنينه جعل منا من أسكتته الحركة.. منا من حركته.. إلى إيجاد مخبأ .. مكان سري عن الأنظار يبعدنا.. فيه ومنه نطلب النجدى والرحمة.. ننجى وننفذ ..

كبارنا.. وقفنا متحدين صامدين..ملامحنا..الملامح كلها كست الوجوه شجاعة.. من أين أتت.. الرب رحيم.. وهب لنا.. أراد لنا.. موت مرحب من طرفنا... الأنفس تواجه.. واجهت.. دافعت ..فمنحت لها الشهادة.. بنجاح أخذوها.... أحبتي راحوا .. أكملوا إجازتهم المرضية..وأنا حان الأوان... دق الوقت.. يدق لتنتهي إجازتي أنا كذلك..... سأنهيها رغم

عدم الشفاء... الأجسام الصغار ..خلق الأجسام الكبار الصغار اختبأوا..
استعانوا بنا كمنجد قوي.. سينجدهم.. إلى بر الأمان يضعهم...
حمزة خلف عفاف كان.. ستار الأمان رأني .. بي غطى نفسه .. لا يدري
حمزة أن هذا الستار ما خلفة سيتهدد .. وشعرة منه لن تترد..لن
تمنع....وهو خلفي صرت أحاول جاهدة..عفاف رفعت من قامتها.. أزيد
في عرضي... يديا كانو جدارين رفيعين .. بنيتهم من مستعدة .. استعداد
التضحية فدائه أناااااااااا... فداء غيرك يا حمزة....كم تمنيت.. كم تمنينا..
شفافين نكونوا.. أحد الأثاث بالمنزل الحزين نكون... مصباح بالسقف..
أريكة.. مزهرية.. طاولة.... يدخلون .. عنا يبحثون الباحثون..لا
يجدوننا.. نحن نراهم.. هم لا يرونا.. نستغفلونهم.. نفزعهم.. يرحلون..
يتركوننا وشأننا..
كأنهم أصحاب البيت.. بيتنا ملكهم.. لهم وهم أصحابهم كانو..دخلوا..
اقتحموا موقع أماننا الوحيد..الذي نهرب إليه..الملجأ الرحيم لنا
هددوه..بيتنا نحمي به أنفسنا وأرواحنا..لحقونا.. بوحشية عاملونا...
دخلوا.. بصوت عال يتكلمون .. كأن رب البيت دخل غاضبا وأحد أفراده
أخطأ... أذنب..عصبه.. تعصب وجاء لمحاسبته...

لم يتركوا ركن.. لا زاوية بالبيت الا مروا عليها.. فتشوها.... الدقات عندنا كانت تتسارع.. الأنظار مشدودة..خوفنا الشديد على حازم النائم.. نطقنا.. ننطق في نفس اللحظة ..قلنا.. لاااااااا تزعجوه.. تعب هو دعوه يرتاح... أحد الوحوش الملثمين..صاحبه أمره بحركة رأس.. عند باب غرفة حازم وقف... لن أنسى شجاعتك يا أبي... من شجاعتك...لم تغب عن أعيني.. بها عشت وتحملت.. صبرت طيلة هته الشهور...

لم يخف محمد ديب طاهر ... من أسلحتهم لم يخف.. لا من دخولهم المخيف... دخولهم موحي بخطر سيحل بعد قليل... وأي خطر.. كارثة ومصيبة.. لم أتحمل.. عفاف لا تتحمل إلى غاية الآن.. بسبب هذا .. أنا سئمت من الحياة.. سئمت وجودي فيها.... إلى الموت بنت السابعة عشرة تشتهي... أتلذذ.. أطلب وأريد.. من كرسيه المعتاد منذ سنين الجلوس عليه.. نهظ الشجاع.. محمد ديب طاهر... بجرأة كبيرة.. الطيب .. الذي لا يعرف الاذاء..الاسائة .. اليهم وجه الكلام.. ماذا تريدون؟ ألم يكفيكم ما تفعلونه بالسوري؟ الى متى سيستمر قتلكم الشنيئ...؟.. من أنتم؟..ارحلوا من هنا في الحين.. انصرفو حالا ..انصرفو .. لا تنسو.. أنصرفو أخذين معكم تهديدكم... رعبكم.. أسلحتكم التي لا نخاف منها..... انصرفوا.. لسنا نحن الجبناء.. لسنا الضعفاء الذين تستهدفونهم.. لسنا نحن العبيد... نركع لكم.. لا تنتظروا... نتوسل لكم

بأن ترحمونا.. ترحموننني...لا وألف لا... لا .. ومليون لا... أنتم أنذل العباد... أنتم أحقر البشر...

كلهم حملو أسلحتهم.. صوبوا مصدر قوتهم.. نحو وجهة أبي ..المواجه وجه.. واجه أحد الوحوش.. رد عليه بالسلاح وب...اصمت أيها العجوز الهرم...صراخك وما تقوله لن يعد بإدراجنا نحو الخارج... رؤية عفاف.. رؤيتي للأسلحة الضخمة .. الكبيرة.. فاقت حجمهم..مصوبة نحو أبي..دفعوني.. السلاح دفعني.. إلى حمايته اندفعت... بظهري غطيته.....عفاف لا تركع لبشر.. لم أركع.. واقفة بقيت.. توسلت.. أتوسل إليهم أن يرموا بأسلحتهم أرضا..... يدايا ياروحي .. يدايا انضمو.. بشدة الأصابع تحتضن بعضها البعض..الكتفين يحاولان جاهدتان لمس بعضهما....حاجبايا.الحاجبين تركع.. الفم يترجى..العينين تطلب التوقف الخدود تود التقرب والتصفيق..إعطاء تصفيقة قف.... بعدها.. بعد .. كل واحد منا صار يخاف.. أنا أخاف على الأخر.. هو يخاف عليا.. سويا على بعضنا البعض نخاف... وقتها لم نتجرأ... الجرأة لم تعد موجودة.. غائبة.. غابت وصرحت بلا عودة..لم نستطع أن نسأل .. نكرر ماذا تريدون؟ .. رأيت.. حلمت.. تخيلت أن الشفقة علينا جائتهم..بالأخص بعد توسلنا... كل واحد منهم ... أوقف سلاحه أمامه كالطفل الواقف أمام أباه...والأب

يضع يديه على رأسه.. يقول هذا قرة عيني... منبع قوتي وسلطاني...ابني السلاح...

لحظتها أحسسنا.. ظننا.. الفكر أخذ بنا الى أنهم سينسحبون.. سيرحلون دون أن يتركو ورائهم خسائر.. دون أن يضرونا.. ضحاياهم نكون... اذكياء.. جعلونا نظن هذا.. استراتيجيتهم هته اكتشفناها.. فتسلية بنا كانت...ألعاب كنا..

لم تمر دقائق قليلة كانوا قد حملو أسلحتهم ثانية.. بسرعة فائقة استعانو بهم.... الذي أمام باب غرفة حازم..فتح الباب المترقب عليه..عليه أطلق الرصاص.. قتله.. هو نائم مات.. لم يدع فرصة للجسد أن ينهض ويستيقظ من نومته.. له يقدم فريضة النهاية ألا وهي الشهادة..والروح تودع الجسد... ممكن موتك يا حازم أفضل من الأخرين.. كونك.. كونه نائم... لم يعش لحظات رؤية الموت أمام أعينه..لأنه كان أول شهدائنا.. لم يرى .. لم يشاهد لذة كبده يموتون أمامه.. عاجزا لم يكن...أطفالك يا حازم.. أولاد أخي عندما سمعو طلقات الرصاص تنزرع بجسمك يا حازم.. بالصراخ.. بالبكاء العجيب.. المختلف.. النادر ..المهتز للقلوب.. المسيطر على العيون.. الداعي للدموع للسيلان سريعا.. بادر الأطفال.. بادروا.. أوقفوهم.. لم يسمحوا لصغارك أن يروك.. لا على البكاء على فراقك

حتى.. منعوهم الضعفاء.. برجل قوتهم.. بسلاحهم أوقفوا التعايش مع الحالة...

جلسوا أولادنا.. يا أخي أولادك خائفين.. أجواء.. ملامح الطفولة.. دلائلها.. قفزت للخارج.. عاشوا أوقات.. لا يزالو صغار عنها.. لا يتحملوها.. تحملوها غصبا.... كم كانوا يشتهون إخراج الآه من خلف اللسان.. من تحت اللسان..من الوجع الكبير.. العظيم.. الذي حل بالروح.. بالنفس.. بالقلب.. بهم صغارنا.. لم يستطيعوا.. حاصروهم.. الكبت يميتهم.. أماتهم... زوجتك.. يا أول شهيد بعائلة أل مصطفى.. يا حازم.. يا أول قتيل .. يا أول ضحية بليلة احتفال..سناء. كصغارها ألزموها..أجبرت..على الصمت قانونهم طبقت.... بشاعة قتلهم لك لم توقف البركان داخلها.. انفجر البركان.. الشتم .. البصق.. السب.. الصراخ.. توجيه اللكمات..متفجراتها انحصرت بهذا..

نهايتها يا حازم كانت أبشع من نهايتك... دعت عليهم.. دعت الرب بأن ينتقم منهم...كسرت أوامرهم..فمها يا حازم الذي كثيرا .. دائما.. أبدا ينطق سوى بالكلام الرزين .. الصادق الجميل.. الأنيق.. الراقي.. فمها الذي كثيرا أخرج دلالات الحب والمحبة..الطيبة والأخلاق..الأدب... حبها لك يا حازم المكنون أنطقها.. حزنها عليك.. حول الفم.. الى باب منه أخرجت ما بالبيت الباطني..البيت المؤلم... باب فمها لم يسكت عن الحق..

والإطاحة جاهدة بالظلم... ردت على فعلهم بالكلام.. الكلام المتفجر من الأعماق..زعزعهم.. زلزلهم.. خافوا أن يكتشف أمرهم...الحقوا .. مسرعين.. مستعجلين لصب الماء على النار... وضع الظالم مسدسه بفمها.. فمها الذي لم ينغلق .. وحوش البشرية والأرض دون أي تردد منهم... دون محاولة التراجع.. أطلق الرصاصة الأولى .. لحقتها الثانية مباشرة.. كانت وراء الثانية الثالثة . مع كل دخول رصاصة .. مع خروجها من الخلف.. كان أحد صغارك يستقبل دماء أمه.. يمنع سقوط القطرات الحمراء على الأرض... حتى الثلاثي البريء .. اليتيم في ظرف أقل من عشر دقائق.. هذا الثلاثي غسلت وجوههم .. ثيابهم اغتسلت بدم أمهم الطاهر... تكبدت الأهات.. ربط.. انقطع اللسان.. النفس تصرخ.. الجسد يغلق ثغرات.. الأحفر التي يخرج منها الصدى...

لا ترميم لهذا الألم.. لهذا الجرح.. الجروح.. المعاناة.. و.... الخوف.. تخويف الوحوش لصغار أهل بيتي أرقدهم.. ميتين ألما.. صدمة.. جنب جثة حاميتهم.. أمهم التي لا يزال رحيلها مبكرا.. جدا.. جديد.. هم جد محتاجين إليها..

بكائهم بلا عزف كان.. لا أسمع أنفاسكم.. إن سمعتها ألحقكم.. بمن أنتم ملتفون حولها هكذا.. السفاح يخوفهم وخوفهم..

لغتك يا مدمر ليلتنا.. يا محرف فرحتنا.. يا طارد أرواحنا.. لا يستوعبها أولادنا.. كأنهم في قلب مسرح سينما بها.. فيلمها مرعب.. مخيف.. عاشوه.. شاهدوه.. حضروا لأحداثه أطفالنا... شخصيات بالفيلم هم كانو .. أدوارهم حقيقية.. لا تمثيل.. بلا تدريب سابق.. أو معرفة كانت.. وجدوا أنفسهم بالفيلم.... بلا رغبة.. غصبا.. بلا إرادة .. فرضا وكرها.. وجدوا أنفسهم في ادوار .. كاتب السيناريو .. رجال لذة القتل تسليهم .. الحزن.. الألم.. يضحكهم.. الفرحة والسعادة تدفعهم للإجرام.. جرم بشع والسعي السريع لتوقيفه.. وان كلف هذا رحيل أرواح .. لا يهم عندهم..... البهجة منهم تهرب.. يختفي عطرها..لكن الشم عندهم قوي.. الضمير الميت يشممهم على بعد أمتار..يؤدي بهم جريا الى تغيير البهجة.وتلويث جو السعادة..

الجبناء.. هم أغبياء لا يدركون.. تغافلو على أن الرائحة الكريهة بهم التصقت..العطرة كسبناها نحن.. بالجنة .. من عطر الشهادة نتعطر... مظلومين.. نحن ظلمنا من بشر..ظلمونا فأثابنا الله المراتب العليا من القصر الأخروي..

أولادنا ليسوا متعودين على الصوت المرتفع.. على الحنية .. الحنان تربو.. الهدوء تعودوا.. الكلام الطيب .. الهادئ الجميل هم يحبون..منا وجدوا .. من غيرنا يريدون.. سوريتنا بكيت.. صرخت.. مرضت.. حل بجسدها

جرثومات.. فيروسات عديدة.. أمراض خبيثة اخترقت جسدها.. حولوها من هناء إلى تعاسة صارت.. ومن ... إلى ... أحسو أطفالنا.. لم يحسو بالقدر الكبير .. المناخ العائلي كان يشعل المصباح بالصباح..يبعد الجفاف بالأمطار.. يحول العواطف .. الرياح .. إلى نسمة خفيفة..رقيقة هادئة...غير الزلازل.. البراكين .. إلى حب .. إلى أمان..حماية.. انفجروا من قلوب تحبهم.. أرواح تود اراحتهم.. عقول سوى تفكر بحاضر .. مستقبل أمن .. لا يأذيهم .. إلى بر الأمان يوصلهم.. على شط السلام يكونوا.. ببحر الاتحاد.. التضامن.. و.. يستمرون..

عجزت.. عجزت عفاف عن تحويل مصيبتهم إلى فرج.. حاولت أن أكون رجل النجدة لهم.. بحثت عن النجدة كثيرا.. لم أعرف لها مكان... عن عالمنا النجدة رحلت.. المساعدة دفنت.. المساندة احترقت.. هأنا موجودة.. مفقودة.. ليس لي أثر..

يا أبنائي الثلاثة.. والله هم أبنائي.. البطن لم يحملهم.. لم أنجبهم.. القلب .. الروح .. الحس .. الشعور أنجبهم... يا نبضة القلب عند انخفاضها.. يا روحي من الهم تجمدت.. بكم الجليد ذاب .. من حرارتكم .. من برائتكم.. سائلا صار... يا عقل فكر دوما في إسعادكم.. عن الدمار إبعادكم... لا يزال العقل يفكر.. الشوق شتت العقل.. إلى الجنون أدخلني ايه والله... أنا مجنونة.. عفاف من أهل .. من فصيلة المجانين... ما

حصل... ما يحصل.. ما شاهدته.. ما عشته.. ما فقدته.. ما خسرته.. أفقدني التركيز.. قطع الخيوط المتصلة بين العقل والواقع.. بين العقل والحاضر..سوى خيوط رفيعة تربطني .. تربط العقل بالماضي..رغم ضعفها.. ليلة احتفال حصنت الخيوط.. .. بهذه الليلة.. من الآن لن تكون هناك خيوط.. سأقطعهم.. قطع صغيرة أجعلهم.. بمقص هو الوداع يا روح عفاف ..

لا تزال بعد الأرواح من الأجساد تنسحب.. تتطاير.. من أبواب .. من نوافذ .. من سقف المنزل.. من طوبه.. إسمنته الهش..هش جراء الهزات.. أصوات القنابل.. الرصاص.. الصواريخ المحلية.. الدولية.. من الدمار الذي يقع كل وقت على رأس الأرض.. بفضائها.. من هذا السقف.. الأرواح من حولي تودعني.. أي وداع.. أي توديع.. مع السلامة عفاف.. إلى الأبد وداعا..

بنفس توقيت نزول الثلاثي أرضا نائمين.. بالقرب من جثة أمهم رموا أنفسهم.. مرميين .. متمنين الموت والرحيل معها..لا يريدون البقاء بهذا العالم.. خائفون من أرضك وسمائك يا سوريا..لا يودون الهروب.. لا يودون حتى البقاء.. الموت يطلبون... اشتهت الأرواح السفر بعيدا عن الجسد..إلى العلا .. في الأفق البعيد.. البعيد تكون..بحرارة ..بشوق تشتهي.. مع أن الانسان يفضل بعد الموت عنه.. وبعده عنها..

أبناء الشهيدين.. بمكانين هم..عاجزون.. لهذا عاجزون.. هم محاصرون.. في حيز صالون البيت مسجونين.. القلب لغرفة والدهم قوة بضعف يجرهم..بجوار الأم ألصقهم.. مع هذه الصراعات الداخلية الباطنية.. والخارجية الظاهرية المعاشة.. أوقعت الأبناء.. الكل مطيعون للسيد السفاح..القاتل..العدو الحقير..

رد الفعل بداخلكي يا أجساد يضرب.. يضرب.. يصرخ.. بالجبناء لقبنا.. بالضعفاء إلى الأقوياء عودوا.. كونو.. كفاكم خوف وذلا.. فماذا حدث..يحدث؟ سيحدث.. لا يربط اللسان..لا يكتف الأيدي.. لا يطرد القوة.. لا يميت فينا الشجاعة..

سهمنا خطاب الضمير.. نداء العقل وطلب العقل..ودفعة الواجب.. دمعة الجوارح.. آهات الروح.. تخبطاتها..آلام القلب والجروح النازفة..

سمعنا.. للأسف لم نحرك ساكن..لا يزال الصمت يملكنا..ملكنا رغم الكلام الكثير..الكبير الذي شوش أعضائنا... تظاهرنا بالهدوء ..والفوضى باطنا امتلكتنا..سيطرت علينا..بالكامل استولت .. بعدوى الصم..البكم تعرضنا..انتقلت العدوى بسرعة..لأهل بيتك يا محمد ديب طاهر بعدوى لم نأخذها منك ..لم تكن أنت مصدرها..

إلى الوراء نحن نتراجع..نتراجع.. في تراجع مستمر.. خشينا التقدم..رغم كل ما فينا أمام العدو ضعفاء كنا..لنداءات ما يسكننا قوة أسكتنا.. خوفنا..

لا خوفا من الموت..خوفا من فقدان الروح..بك ياروح الحياة تكمل رغم اختفاء الحياة وموتها وهي حية يا سوريا..الأجسام والقلوب مرهقة..
مزقت شرايين الحياة لديها.. أموات حقيقيون كنا.. ... غاب عنا كل شيء .. كل شيء يدل على أننا أحياء بعد.. الإحساس بسرير اللاشعور بالواقع.. بما حوله مستلقي في غرفة الغيبوبة المهيئة للعالم الثاني.... من سيكون طبيبنا.. شافينا.. مخرجنا من النومة الباعثة بنا أموات حتما إلى قبور لن تفتح لنا الباب لزيارتك.. أيها الوطن الحزين .. من سينجدنا بالدواء ويتحدى الحقيقة .. حقيقة أن حالتنا ستتحسن، ترجع لنا البسمة لا محال.. من يقف في وجه مرضنا ومن حولنا.. يطرده بذكاء..بحنكة .. خطط لم تدبر .. فحالتنا مستعجلة جدا..لا بد للإسعاف أن يفعل فعلته المستحيلة والصعبة..
لكن.. لكن من معنا.. من حالته حالنا.. عدوى هذا المرض الخبيث الخطير.. قد انتقلت إليه..الأذهان تبحث عن مداري ..مداوي... ظهر طبيب من العائلة خرج أخي مصعب.. من مكان إصدار لحكم الظالم علينا مسرعا راكضا.. مستعين ..بسلاحه الوحيد ورمى أحد المسلحين بدفعة قوية من مسدس كان يديه والرمية..الدفعة المؤدية بأحد المسلحين ساقطا أرضا كانت بمثابة رصاص.. لكنه رصاص ضعيف ليس بقاتل .. لا بالفعال..رصاص لا بمستعين .. لا بمساعد يؤدي الغرض يحتاج....طبيبنا مصعب يحاول إعادة الكرة.. كان الشقيق الأخ صديق العدو ووحش ليلة

احتفال.. وعاشق القتل المتلذذ .. الهاوي لخروج الرصاص من سلاحه الذي هو قوته.. شجاعته.. معشوقة القاتل.. محبوبة العدو.. سلاحه من يداعبه.. اطلق رصاصه صوت فانزرعت في ظهر أخي .. دخلت في الجدار الذي أراد أن يحمينا .. ضحى بطوبه..ما لديه ليفعل فعلته..يخلصنا .. يطفئ النار الغاضبة التي كانت أن تنطفي .. تصبح رماد لا عنده .. لا عندنا.. لا عندك يا روح عفاف إلى الآن..

كبيرنا المسن..أبي الغالي هرب.. كيف تحول إلى جسم شفاف به تسلل من بين المصدين لنا..

الأب المعجب لأبناءه.. لم يقوى على رؤية .. مشاهدة خاتمة أولاده.. الواحد تلو الأخر ببشاعة..فقلب الأب لا يتحمل..ليس بحوزته أن يقف..ينتظر دور البقية.. عفاف يا مصعب ..وهي ترى فيك البسمة الأخيرة..والروح تهاجر.. هاجرت من بسمتك .. البسمة المبشرة لك بغد أفضل ..كفت منها أخذ الأمل والأمنية المستحيلة... ومنها أبي قدميه أمرته بالسير.. بالجري خارجا.. هاربا .. باحثا عن ما جلبه.. أم ستجلبه ابتسامتك يا مصعب.. يا أخي .. يا الذي اشتقت لك لدرجة الموت .. حتى الجنون...شفتاك يا مصعب اللذان حولان شكلهما من دائرة .. إلى خطين عريضين..أشرقا الوجه كله.. وأضاء نور به على يومك الموالي التالي الجميل.بسمة مصعب أخدتنا للحظات إلى أشياء تمنيناها في ليلة احتفال... أبي الهارب إلى صالون

بيته الممتلئ بالدماء .. الجثث المظلومة البريئة ذنبها سورية..سرعة القتلة كانت تخطف منا الأنظار .. ترمي بالبصر إلى المشهد الأخير.. الى مشاهد مغايرة تسقط القلب أرضا.. يا روحي الساكنة بعد بي لن أنسى .. كيف لي أن أنسى؟ ...كيف لي أن أعيش بسلام وهدوء .. الوطن بحرب ..العقل به مجزرة 1/ 03/ 2015 به..

عصير أحمر غطى أرض وحتى جدران.. أسقف حيزنا .. بيتنا ..بليلة من ليالي عمري بزمن بمكان .. بوقت ما كان أن يسمح لي باقامة احتفال .. لو لا تحدينا ..وإصرار.. رغبة عائلة محمد ديب من تغيير الوضع المعاش .. ولو لدقائق وساعات قليلة جدا..

كيف أكمل والروح رافضة البقاء ..والقلب عاشق الرحيل؟... كيف ووحوش ليلتي أخذوا مني الغوالي والأحباب..؟ كل شيء في وقت واحد دون إرادة إلهية.. إرادتهم.. قتلت إرادتي وتمسكي بالحياة.... ذبح الغالي أمام أعين طالبة البقاء .. أمام قلوب ذابت .. احترقت ولا تقوى على تلقي الأكثر...ذبحوك يا سند عفاف..أبقوا الرأس متصل بالجسد الذي تعذب .. وعانا في لحظات تحوله إلى جثة..وجسده لا يؤويه إلا القبر...نظراتك الحمراء يا أبي المضغوطة.. الحاملة .. المتحملة لألم فاق كل ألم..والرأس يتجرأ طلبا مهلا رويدا رويدا عن الجسد.. قتلوك.. يظنوك.. ظنوك كبش.. حتى لو ذبح الكبش ما ذبحوه .. مثل ذبحك البشع....وقفت.. سقطت

عفاف سوى تنظر .. تتأمل لجسدك.. روحك.. يا والدي الذي كان سلعة ولعبة يمارسون عليها اللعب الذي يهوونه ويريدونه..

سمعت صراخك ..صرخة كل عضو فيك الذي كنت تخفيه عني..أنت في أشد الحاجة لتطلع ألمك.. عذابك الغير عادي في حرفين من حرف الآه.. الهاء اللذان بهما توصل ما تعانيه..يسمعك حتى الجماد... تألمت لألمك.. بكيت لعذابك.. تحطمت لفراقك..مت موتات لموتك... بيتك يا محمد ديب طاهر تألم.. بكى وتحطم.. مات لأجلك.. كل شيء يخصك ذهب معك سوى عفاف... عوقبت بالموت البطيء .. رغم أني بريئة لم أفعل شيء..لم يصدر مني أي خطأ..ليست بالمجرمة.. هل هذا هو جزاء الطيب..المظلوم.. البريء في أرضك يا سوريتنا ؟..

أردت الحياة فيك يا وطني ؟ ..أردت العيش وعدم الرحيل؟ ..أردت وضع الأحلام.. الأمنيات على أرضك ؟ .. بك يا سوريا..

رغبت أن أكون من البشر الذين تفتخرين بهم..ويشهد تاريخك عليهم؟..... طلبت أن تبقوني أنا وأحبتي عن ما يحدث فيك بعيدين؟ .. انسحبها من عالم الدمار والقتل والحرب .. لأن لسنا منه .. ولن نستطيع أن نكون منه.. نمتلك قلوب رحيمة.. وضعت باختبار صعب لا يقوى على صعوبته أحد على وجه الأرض.. فيلم ليلة احتفالي من الخيال .. لحد الآن لم أتوصل إلى استعابه.. تصديق أن أحداثه . مشاهده كانت حقيقية.. كلها

واقع حدث أمام أعيني..واقع يجعلني في صراع مع العقل الذي يحاول اقناعي أن الذي حدث فعلا حدث..بين ذاتي الرافضة للسماع.. هو شخصيات الفيلم ... أين هي بعد الفيلم؟ ...صحيح ها بعد نهايته أشرار الفيلم رحلوا.. عادي رحلو.. لا احد عاقبهم.. لا واحد يعاقبهم .. كأن الذي فعلوه سوى تمثيل وفقط... صحيح الذين ماتوا في الفيلم هم غير موجودون .. بعيدون عن الواقع..ميتين حقيقة... أنا الآن.. الحين عفاف تروي قصتها..فيلم ليلة احتفالها لتكون واقع.. يشهد الواقع أني ميتة.. مع الواقع الوقت.. معهم الحياة والزمن.. يرفضون منحها شهادة وفاء .. منعوني..رفضوا لي ..

بداخلي حرب.. بداخل عفاف .. حرب لو وزنت.. لو قيست .. لكانت أكبر الحروب حجما.. عظما من الحروب التي شهدها العالم.. وأقيمت منذ ظهور الإنسان.... بداخلي حرب لا تظهري أمامها يا حرب سوريتنا....لا يغيب ... لا يرحل عن نظري.. عن بصري نظراتك الأخيرة.. يا أبي وأنت تودعني .. تود توصيتي .. أنت تسعى جاهدا لطلب السماح مني لأنك كنت أبا لم يحمي أولاده.. ولم يبعد عنهم الأذى والضر..

وأنا يا أب عفاف...اشهدي يا روحي.. يا جدران سوريا المهدمة..ويا جدران وأسقف بيتنا المدمر ..اشهدوا أن محمد ديب طاهر أعظم الأباء على وجه سوريا.. الأرض.. أبي أحن الأباء واطيبهم.. والدي ذو رجولة ..

صاحب صفات الجنس اللطيف من حنية.. حب.. عطف.... أبي رئيس مملكتنا الصغيرة..قادها بحرفية.. بذكاء.. بفكر .. بعقل رزين.. قائد هؤلاء حب كبير لنا..أنجب زينة شباب سوريا.. عروسة قرصايا المنقرضة لمثيلها.... وببيتنا لا يشبه كل البيوت..لما يحتويه البيت من أشخاص تسكن قلبه.. لن تتكرر بأي عصر ..زمان .. ولا مكان..

لكن الحمد لله جزائها أكبر..أعظم.. مشرف.. هم يوقفونك بوسط بيتك..أهل بيتك.. أحبتك..بسكين حاد جدا .. بالمتوسط الحجم خدعوك..فصلو رقبتك عن رأسك..عن جسمك....لم يكفيهم هذا..أكملو عليم بالرصاص.. القاتل.. القتلة..كانوا خائفين أن تكون لك كذا روحا..بخوف ..بعجلة..بسرعة طهو روحك.. جسدك بالرصاص...وأنا.. زوجتك بالصراخ ..الأعين مغمضة .. الأيد بالأذن بشدة..كنا نودعك..نرجو بقائك.. نرد على العدو لفعلته..ابنك الصغير في صدمة كلية..دخل ..وأنا بالخائفة.. المجنونة عليه كنت.... أموت كنت.. لم تلحق أمي المسكينة بالحزن عليك..لم تطبق العدة بعد أن كسبت لقب أرملة..أرملة الشهيد.....بثواني جاء دور حبيبتي أمي..شهيدة مع زوجها لحقت..مع السابقين الذين سبقوهم ..شهيدة مثلهم توجت..

بصرخات الحزن.. بكلمات الغضب..تزعزع قلب عفاف..... أخر غصن بشجرة عائلتها..لم تخف من نظراتهم الوحشية.. المخيفة التي تسقط الأسد

الأرض.. الطائر من السماء.... لم يتزعزع قلبها .. لا خوفا.. لا ضعفا..منهم.. واجهتهم..فواجهوها..مواجهتهم الرد المعروف..المعتاد عندهم... أطلقو الرصاص عليها.. حالها كحال الأحبة التي سبقوها.. هي تحتضر .. مدت يدها إلي طالبة حضنا مني..من أخي الصغير.. أخي بزاوية لا يستوعب ما الذي يحدث.. أنا رغبت للاستجابة لطلبها..رغبتي لازلت أرغب بها لحد الآن يا روح عفاف..أنتِ أيتها الروح تعلمين جيدا.. إن نكرت .. إن نسيت أنا..أنت محال تنكري..الروح لا تنسى رغباتي.. رغباتها..الشديدة..التي عشت.. عشتي عليها.. بسببها سأحدد..تحددين أرض مصيري.. بيدي.. بيدك.. لا بيد أحد..

قطعت لهفتي .. وقفت رغبتي عن حضنك.. ضمك يا أجمل النساء..وأمهات العالم للمرة الأخيرة.. فحسبيا الله ونعم الوكيل على الذي أودى بنا الى كل هذا... قتلوكي.. سرقوكي مني..حرموني من حلاوة الحياة.. من طعمها الحقيقي..لم يكتفوا.. نزعوا من أذنيك العفيفة حلقيكي..الحلقين اللذين أهديتهم لي.. طلبت منك أن تبقيهم بأذنيك الجميلة.. السامعة .. المغسولة لكتابك الطاهر يا الله.. كنت أغار منها.. أقول..ما أحلى الحلق عليك.. زادك جمالا فوق الجمال.. ترد .. لا تستعجلي.. فحقيقة أنا الأم مستعجلة لأراهم عليكي بيوم زفافك.... أخذوا.. سرقوا هدية الأم لابنتها الوحيدة مستقبلا.. من سرقتهم أخذوا

أحلى وأجمل الأحلام.. الأيام.. الأمنيات.. سرقوهم.. الذهب.. الأرواح.. الحياة..و.. منا ليبيعوهم.. ليشبعو رغباتهم.. لذاتهم.. وتلبية ما يساعد على تدميرنا..وتدمير منازلنا.. أرضنا.. أراضينا.. بممتلكاتنا شردنا..دمرنا.. تغربنا.. طردنا..تغبرنا.. اغتصبنا.. متنا وجعا وفقرا..حزنا وألما.. حقيقة متنا..بكل الأوقات تذوقنا.. تغذينا.. أبي يا روح عفاف.. أنت قدوتي.. لا تزال .. لازلت مصدر قوة لي.. لا تزال .. أنا واجهت المحيط الخارجي.. ها أنا أواجه الموت.. بشجاعة .. بقناعة أستدعيه.. أواجه ... اطمئن.. أنت في ديار الجنة.. بالجنة أنت يا أبي.... كما ربيتني لازلت .. كما حافظت عليا لازلت..... بنفس المبادئ.. الأخلاق .. القيم.. مازلت.... علمتني حب الحياة..أن أكون من الجاهدين فيها تعلمت.. منك تعلمت... من المهمين في الحياة عملت.. إيه والله يا أبي حاولت.. لكن المصنع الذي يزودني لأكون بهذه الحياة.. كان.. هو فقد مواده الأساسية.. لم يكن هناك إنتاج.. لم يكن كما انتظرته....حفزتني لايجاده وخلقه.. أنت لن تحب فيا ما أنا فيه... أعلم لست راض بحالتي.. ان رأيتني ستلومني أكثر من أن تعطيني الحق.... لكن يا أبي .. أنت رحلت عن سمائي.. عن أرضي.. ووحيدة صرت..... لم أجد بعدك يا أبي.. لا بنفس نصائحك.. تضحياتك..جهدك معي.. أذنبت في حق نفسي.. عفاف مذنبة بعد رحيلك .. رحيلكم... عفاف فضلت.. أنا فضلت بناء عالم خاص بي..لكن.. لكن.. عالمي سوريا لم يتركني

بحالي..الوضع لم يساعدني على النهوض..من الاستيقاظ من الذي أنا فيه.. بالعكس حفزني.. جعلني أسارع للرحيل.. لأكون معكم بأي طريقة.. الأهم عدم تقبلي لما حدث لكم... الألم لا يزال باق.. باق .. باق هو.. هو باق ..... الحزن بأعماقي.. لا يزال .. لا يزال.. هو لا يزال.. لا يزال هو جالسا .. جالسا .. جالسا هو .. ها هو جالسا..

مشتاقة جدا عفاف.. أنا جد مشتاقة للأحبة..للأموات... البصر ملهوف لرأيتهم.. ملهوف الصدر .. القلب لضمهم.. الروح لوجوكم.. الإحساس بهم.. العقل مشتاق لينام بهدوء..خداع العين والجسد بالاسترخاء ..للاستعداد للنوم..بعدها في أسوأ الليالي يعيشهم.. من كثر التفكير..صعوبة الاستعياب والتصديق..

بداخلي انتقام.. نار .. لهفة شديدة إلى حمل السكين.. البندقية .. أقتل الذين قتلوكم..بمئات الطعنات أطعنهم.. بالرصاص أثقب جسدهم... بالرصاص.. بالسكين.. بالانتقام أطلق حزني.. ألمي.. أحرر انتقامي .. أطلق ناري...جد حزينة..باكية دوما على سقوط شموخك.. عزتك.. كرامتك..بسقوط ..ميول رأسك على الكتف الأيمن.. الأيسر بعد ذبحه..دون فصل... شاهقة أنا على تغير لون وجهك.. رقبتك .. الدالة على كثرة الطيبة.. طهارة القلب.. نقاء الروح..إلى احمرار .. وأي احمرار.. أحمر داكن.. انتزع.. سلب من ينابيع جسدك..

بريء.. روح رحلت وهي رافضة..غضبت الروح.. اغتصبت... صوب عيني تخبطات روحك يا أبي..ترجمها الجسد.دمائك تتطاير..تطاير الدم الطاهر.. أفرح عفاف .. عند هته النقطة بفرحة أبي الشهيد.. والدي شهيد..آآآآه يا أبي.. آه يا أطيب البشر .. على خاتمتك البشعة... برصاصتهم الظالمة..نزف القلب.. قلبك..به صنعوا حفرة .. منها دخل الهواء الملوث .. المعكر..توقف القلب عن العطاء.. عن الحس.. عن الإحساس...

برصاصتهم أماتوا القلب.. القلب الذي يعرف سوى الحب.. عمل سوى الحب.. عاش ..دق سوى للحب... برصاصتهم النتنة أوقفوا الخفقان بالبطن.. البطن الذي حملنا..سوى الحلال اكل.. البطن الذي بات ليالي بدون أكل.. جيعان لإطعامنا..البطن الذي تألم لتألمنا.. خاف حوفا علينا.. ولخوفنا... برصاصتهم نقشوا على الجبين دائرة صغيرة.. من تلك الدائرة توقف العقل عن العمل.. العقل الذي فكر فينا.. في إسعادنا.. في نجاحنا.. في الحفاظ علينا ... العقل الذي لا يحمل سوى الصلاح.. النفع لنا للكل... العقل الرزين.. الذكي الذي مبكرا جدا رحل عن عالم يحتاج إليه..يحتاجه لخدمة الأبناء..الأجيال .. الوطن.. و... و... العقل الذي منه تعلمت.. تعلمنا ..كبرنا.. كبرت..استفدت .. استفدنا.. ومن أعقل العقول كنا..اشتهرنا.. لقبنا..حمدا لله... شكرا لك يا أمي..رحمك الله يا شهيدة سوريا...

أغار على أمي كثيرا ... من نظرات الناس أغار .. من لمسات النساء لها أغار حتى...أكبر غيرة عليها..وأحد الوحوش يضع يديه على اصبعها بعد زيارته لأذنها.. وضع اليد لسحب الخاتم .. خاتم زواجها من يدها..بعد سرقة روحها لم يكتفو.. بعد سرقة عمرها لم يشبعو.. بعد سرقة حياتها لم يقتنعو.. بعد سرقة زوجها وأولادها لم يتوقفوا..حلقاتها بحوزتهم أصبحت.... الظلم عندهم لم يهدأ غليانه.... بقبضة يده الملوثة بدماء البشر الأبرياء.. المغطوسة بوحل.. برمال .. بقمامة الظلم والقتل.. حضن العدو الخاتم بفرحة انتصار..بفرحة كسب...وبجيب ثيابه التي لا تعرف انتمائه الى أي جهة ينتمي...لتصرفه عفاف بصقت.. في وجهه.. وسط الوجه بصقت ببصقة برميل.. من بعيد ..طلبت منه أن لا يلمسها...فهي أمي..مصدر فخر لي.. منبع غيرة مني عليها.... لكن الجبان أظهر عضلاته.. قوته..بضربه لي برجله على بطني..أرقدني المستحقر أرضا..أتألم فوق ألم .. آلام.... لم كان أبي حاضرا.. حيا.. لحظتها .. أثنائها .. لما سمح لهم أن يأخذوا خاتم زواجهم..الخاتم الذي قدمه لأمي.. لزوجته الحبيبة.. لأم أولاده.. ورفيقة أهاته وسعادته... لكن...لو بقيت الروح تنبض.. موجودة.. ساكنة بعد بالجسد.. بجسده .. لما تركوه يقاوم.. يتصدى .. كحالي وحالنا.. كان لحقها لا محال.. ها قد سبقها..

لهذا يا روح عفاف.. الذي حصل لعفاف.. الذي يحصل بها أكبر منها.. بكثير أعظم..لا يحمل.. لا قلبا في مكانه ويؤدي وظيفته.. لا عقلا يشتغل كباقي العقول.. لا بصر .. لا رؤية تجمع الحوادث.. ترتبها.. ترى المحيط..يصدقها .. الروح تتهيأ للانسحاب ..ستنسحب...

بكيت.. بكت عفاف.. العين دمعت.. عن حال فتانا الصغير .. خفت مما هو فيه.. مما أراه فيه.. صرت لا أختلف عنه كثيرا والله يعلم...

آخر غصن بشجرتنا... بشجرة محمد ديب طاهر شفق عليه الأشرار .. وأي شفقة .. شفقة لم تشبع لذة القتل عندهم...شفقة تجرهم للبحث عن فريسة أخرى ..منها تشبع لذات.... بدأ أحدهم يتقدم.. شيئا فشيئا يتقدم..ناحية فتانا الأصغر.. يتوجه.. إليه يسير .. وأخي الصغير يصارع الجدار .. يقتحمه مع كل خطوة يخطوها وحش ليلتنا.. والجدار لا يستجيب.. الجدار يثبت بقعته.. يتصدى لمحاولات الصغير لخرقه... الصغير خائف .. الدموع بلا شهقة تتهاطل.. الارتجاف كان يهتزه فوقا الى أسفل... وأنا من بعيد.. أصرخ.. ب لا.. ب لا... أرجوكم لا.. اتركوه فهو لا ذنب له.. ما الذنب أيها الأشرار.. اتركوا لي ونيس.. انسوه.. اقتلوني أنا.. فها عفاف أمامكم... لم أكمل ما أريد أن أقوله .. قفلو فمي.. جاء أحدهم خلفي.. شد فمي بقوة.. بقوة كبيرة.. منها أرجعت صرخاتي .. آهاتي.. إلى الداخل.. الداخل الذي توسلني بان أرأف به... بقيت سوى العيون..

العيون تحاول النطق.. لا تنطق العيون.. الشر الواقف .. المتواجد عند محيط أخي الغالي.. بأسنانه.. ابتسامته.. كان يخيفه.. هو خاف كثيرا.. له يقو..فمك افتحه.. افتح فمك .. لتناول ما ينهي حياتك.. افتح.. افتح.. هيا افتح... أخي الصغير .. الأخ الذي لم يمنح له حق الحياة.. ولا الدفاع عن حياته.... أهدى صغيرنا فمه لعدونا.. لا خيار له..هو مجبور كان..مشتاق للرحيل مثلي للحاق بمن تركوه.. حتى عفاف لم يكن يراها..الذي يحدث بالأكبر منه..يعلوه..لم تكن له لحظتها حياة نادته... حياة يريدها ليدافع عنها..ليتمسك بها..ليهرب إليها.. سئم منكي يا حيا.. سئمت منك.. سئمنا منك... الموت كان يحيطه .. من كل الزوايا أحاط به..يناديه.. ناداه..هو لم يتردد.. بسرعة استجاب له..خدعوه.. أخي انخدع.. انخدعنا.. بثلاث طلقات فجروا فمه..انفجر الرأس..صوت الطلقة أخفى صرخته.. أه الروح المنسحبة كالبرق سكتت...

متوسلا كان أخي.. طالبا النجدة ... بعينيه البريئتين.. يديه المسالمة .. منهم يطلب من الحلم أن ينقضه.. من الأهل أن يمنح له عمرا جديدا.. من الغد أن يحضر في الحين... يحل.. يغير ما يجب تغييره..من سوريا وجعا يبكي .. وهو يقول وصيته لها .. " بأن تحمي عفاف..بأن تكافح ليحل نور السلام من جديد... فالذي بك يا وطني لا يقوى عليه... بأرضك يا سوريتنا

سقيناك.. بدم الشهداء .. الأبرياء ارتويتي.. من دمهم امنحي لنا الأمان .. فيكفينا..

بقطرات روحهم المضحية ..لم ينبت ..لم ينمو اخضرار.. نود بياض به ننعم بجنة حقيقية على الأرض.. عليك .. فيك .. بك .. يا سوريا... شفتاه تحتضر وهي رسالة لي بعثت.. أحرف الوداع .. عبارات الحب..جمل التوصية بأن أحافظ على نفسي.. "اعتني بنفسك يا عفاف".. بالله عليك اعتني بنفسك"..إياكي وأن تحزني... العين التي بدأ يغادر منها البصر.. كانت تعانقني بشدة.. بشدة عانقتني.. عانقتها من بعيد..تطلب مني الى العلا أصعد.. بأمل.. بالتحدي.. بالإصرار.... من عينه اللتان أعشقهما.. كان حبيبي.. أخي.. صغيري .. يدعو لي المولى عز وجل بأن .. بأن يبقي بي الروح.. بأن يقويني وأكمل مسيرتهم.. أحقق أمالهم ..آمالي.. أجسد أحلامهم .. أكبر حلمي.. أقاتل بعزيمتهم.. أقوى من عزيمتي .. أحيي إصرارهم في عفاف.رحل..غادرت برائتك عن سمائي.. من بعدك.. من لحظتها.. مغادرتك تكويني.. تحرقني.. العجب أني في تلك النار أستمتع... استمتاع فقدان الوعي.. موت الإحساس... صرت لا أشتهي البعد.. الغياب عن هته النار .. نار الفراق..

مطمئنة أنا.. مرتاحة عفاف.. هنيئة البال.. فأنت يا أخي بأمان.. لأمانك.أنا لا أدري .. لا أدرك ما يحدث بهذا الزمان.. بهذه الدنيا..

سوريتنا تحترق.. احترقت.. وأنا بليلة احترقت... سوريتنا قامت بها القيامة.. كما بيتنا بليلة حلت به القيامة.. وأي قيامة .. قيامة من من بشر أقيمت.. وضعت.. دبرت.. طبقت ونفذت..والنتيجة منها السوري كان.. الله رحيم.. رحيمنا الله.. والعبد.. الوطن.. الخائن.. و لا رحمة عندهم.. طريح الأرض كنت.. واقفة عفاف تحزن.. من قتلوكم.. من دمرونا.. يهيئون أصدقاء المنزل ..لوازمه للرحيل.." الثلاجة..الغسالة...ال...من مكانهم أخرجوهم ..زينة نسائنا أخذوا....هل من أجل ثلاجة قتلنا..؟..من أجل غسالة أبعدوكم عني.. من اجل زينة ظلمونا.. منا الأرواح هم سحبوا...غاضبة أنا.. جد غاضبة عفاف.. إلى حد الآن غاضبة يا روح عفاف..

من أعطاهم الحق بأن يفعلوا بنا كل هذا.. يفعلوا ما يحلو لهم... من أين أتو بهذا الحق.. من سمح لهم.. من أعطاه لهم.. الإذن من أين أطلق..من..؟ أريد أن أعرف .. أود أن أفهم..

الأسئلة تفجرني.. الفضول سيفجرني.. هاهي تعلن نهايتي..

جهزوا المسروقات..هم سعيدون بما استولوا..فعلا.. أهنئكم..أنتم انتصرتم..غلبونا...غلبونا فيا ليت فقط تعود ليلة الاحتفال..بدقائقها الأولى تعود..لكن رحلنا قبل وصولكم يا دقائق..تركنا الذي

تريدونه...كنتم يا أشرار من الأول قولوا ما جئتم من أجله.. ماذا تريدون..هذه وهذا.. كذا وكذا..

ليت نطقتم..ما نطقتم..تريدون السيارة البسيطة المركونة بالخارج..أمام باب منزلكم تكون..هذا ما تريدون..فلما لم تصارحونا..؟... كنا جهزنا..إلى حيث تكونو نأتي بهم.. دون أن تجيئوا.. مجيئكم غير القدر.. أقدار..نصيب.. أنهى حياة أناس أبرياء.. حطم آمال.. أحرق أحلام...

تعالو .. إلى أين أنتم ذاهبون.. تعالوا .. عودوا أكملوا ما تبقى.. عفاف بقيت حية ميتة.. أكملوا لذتكم.. اسحبوا منها الحياة...لا أحد سمعني.. لم يردوا.. فضلو عدم سماعي... وأنا أترجاهم تذكرت.. ما تبقى منا تذكرت.. أخي الرابع .. أخي سامر خارج البيت كان..أين كان؟ ..باحثا عما يلبي جوعنا... تذكرته.. بداخلي حمدت الله..بسرعة غير الكلام عندي طريقه..مقصده..بطردهم تارة ..بالصمت تارات.. كنت أدعي وأدعي.. دموعي تدعي.. رجفتي تدعي.. خوفي يدعي..بأن يرحلوا بسرعة ..لا يقع بقبضتهم أحد الغالين عندي ..فيزداد ألمي.. غير أن.. إلا أن.. لا أعرف من الذي يعكسني.. عكسني في الموضوع..

خرجوا . ..لم يغيبوا عن عالم ومحيط حينا.. قرصايا... وهم بالخارج.. كان سامر قد لقى حذفه بلمح البصر..حتى أنا لم ألمحه.. وأنا غارقة في الدعاء . سمعت إطلاق نار..توقعت الضحية.. نظرت فتأكدت..أدخلوه إلى

الداخل .. جثة في برميل دماء.. وعلى.. عليا يا أحباب.. يا روحي أنت شاهدة اقفلوا الباب.. هبو بالرحيل.. رحلوا.. غادرو وكأن شيئا لم يكن.. لم يحدث.. بلا عقاب .. بكل بساطة ذهبوا..

سعدت لرحيلهم.. حزنت لبقائي وحدي مع كل هؤلاء الشهداء..مع أهل بيتي وهم لا يوعون بالحياة..في جلسة مغلقة... لوحدنا تركونا.. سعدت لرحيلهم ..لبقائي مع الذين لا نصيب لي أن أبقى معهم..أراهم للمرة الأخيرة...كنت أتقدم نحوكم.. نحوهم مرات.. أتراجع عشرات المرات.... ليس لي الا أن أتقدم.. إلا أن بحيرة الدماء كانت تسد الطريق نحوي.. تمر قدماي على تلك البحيرة.. القدم لا يأبى.. البحيرة لا تسمح بذلك...

رفضت رجلي.. منعت.. تقطع قلبي .. أعلن عقلي مهلا عفاف.. اياكي أن تتهوري... الدم مقدس .. لا للقدم أن تلوث طهارته برمال .. بحذاء مشى فوقه .. خطوات الأشرار الظالمين تخطته..

العقل ساعدني.. إلى المطبخ جرني.. أمرني بحمل كوب.. قارورة.. أكواب.. قارورات بيدي.. إلى ناحية البحيرة الحمراء أجلس.. بالقرب أجلس.. أتربع.. أبدأ في.. أمد يدايا لحمل ما استطاعت من الدم.. بقلب الذي جلبته .. معا .. قارورة .. كوب.. كأس.. أخلص الدم من الأرض الذي وقف به سفاحون الدماء.. طاردون الأرواح أبديا... أجمع الطهر من

أرض بيتك يا أبي.. يا أمي .. يا إخوتي... بيدي .. بقلبي ..
بجوارحي..جمعت.. أجمع... أجمع ألم القطرات النقية..العذبة والصفية..
أسكبهم في القارورة تارة.. في الإناء تارة أخرى..شيئا فشيئا بقي سوى
طلاء أحمر ينتظر الماء المقطوع .. الغير موجود ليزيحه..ينتظر الرحيل وأمنية
آخر سيلان به بأي مكان .. بأي بيت.. من أي جسد سوري .. عربي
يتوقف... الدم مثلنا يهوى نهايته.. نهاية ما بدأ بك يا سوريا.. نهاية الذي
ينهينا وأنهانا.. الابن يريد العيش.. الرضيع يريد الأرض الأمنة ..
الحاضنة..
قارورات.. أكواب بحوزتي صاروا..أحمل إحداهما.. أضعها.. أحمل
الأخرى عاليا.. أنا أردد أنا..أنا أقول.. عفاف بدماء تدمع منها.. عصير
احمر بليلة احتفال..هنيئا لكم.. شكرا لكم .. شكرا لمن حضر حفلتي بلا
دعوة.. يا أسفا عليا...اشتهيت بتلك الأثناء .. وقتها أن أرتوي .. يسكب
ما جمع من دماء.. بشرب العصير المُهدى لنا بعيدي..
بليلة احتفال فعلتها.. حرام أم حلال فأنا فعلتها..فعلتها.. مسموح أم
ممنوع.. عفاف فعلتها.. نعم فعلتها.. حزني فعلها.. ألمي فعلها.. موتي
البطيء فعلها.. صدمتي فعلتها...يأسي فعلها...الكل دفعني ففعلتها...
كل الذي كنت فيه.. أمر به فعلها.. لست أنا.. الذي بيا فعلها...

هل تضنون أنني أعي من أنا ؟ ما الذي أريده.؟ .. ما الذي أنا فيه.. ؟ وأين أنا ؟ ... والى أين ذاهبة ؟ ...

لا والله لا أعي.. عفاف غائبة وعيا.. احساسا.. شعورا.. و... أنا .. أين أنا ..؟.. ما فعلته؟ .. ما أفعله..؟ ما الذي سأفعله..؟..لا أدرك.. شربت ما استطعت شربه من العصير الأحمر... إلى أحشائي.. العصير تسرب وسقاني..رويت.. شبعت .. فاعتزلت الشرب..آآآه كم ارتحت..دمي مع دمكم يمتزجان.. امتزجا.. معا يعيشان.. دم الشهيد يوعدني بالشهادة.أريد .. أشتهي.. أرغب في مثل نهايتكم ..نهايتي نهايتكم.. توأم حقيقي يكونان..

أحب أنا العصير الخفيف.. العصير الأحمر .. عصير ثقيل.. مكبد .. وكأنه مجمد كان... أغمضت عيناي.. شربته.. حبست الأنفاس للحظات وشربته..وأنا أشربه.... كررت ما فعلت.. كررت وأنا أريد التكرار.. القارورات .. الأكواب المتبقية بعد.. براميل مملوءة تشبه كانت.. وتمتلىء كلما نقص منها، كنت أراهن.. راهنت..

كم.. كم صعب .. كم صعب الذي مررت به.. اضطررت عليه.. الرغبة أوصلتني إليه.. الصدمة أوقعتني فيه.. كم صعب .. صعب للغاية كان..جد صعب..

انتهيت من الشرب.. خبئت الباقي كلما عطشت شوقا.. حبا.. لوجودكم.. لقربكم.. كلما عطشت الذكريات وتريد المزيد لجأت.. ألجأ إلى العصير الأحمر.. كأنني أتصبر بلجوئي .. أشبع الجائع الذي يصرخ بداخلي.. تركت العصير الأحمر لأوقاته القادمة .. عدت إليكم لاستغلال ما تبقى من الوقت.. لا وقت هناك.. لا لحظات.. لا ثوانٍ فيه حتى.أقف .. أجلس .. وأنا كلي أتأمل إليكم.. أودع.. ودعتكم بجميع الطرق

والأنواع..المعروفة.. الغير معروفة... أجمع.. جمعت المتقطع منكم... على شكل جثة لشخص كامل.. أرجعتكم.. كالدمى .. الدمية.. اللعبة التي كل قطعة لوحدها..ركبتكم...آثار دمائكم ..دمائكم عندي موجودة.. لا تزال...من كل واحد منهم... من كل شهيد.. من أهلي شيئا

أخذت...فضلت بقاء الشيء .. الاحتفاظ بالشيء الذي فيه.. به الأحمر...

والله شمس مشعة.. نور لا مثلها... لا بعدها نور.. كانت تكسو الوجوه...أقسم أن... ابتسامتهم كانت تودعني.. تطمئنني..ارتاحي عفاف.. رجاءا.. لو سمحتي..فكري في نفسك..سوى في نفسك وفقط..فينا لا تفكري.. لا تهتمي.. لا تشغلي البال.. وتتعبي العقل.. وتحرقي القلب...هم.. ابتسامتهم.. نورهم.. طهارتهم.. تحاول تصبيري..إحيائي من جديد... عفاف ماتت بموتكم.. رحلت برحيلكم...

توقفت أجهزتها بتوقف أجهزتكم.. قتلت كما قتلتم.. لكن ليست بشهيدة مثلكم.. سوى هذا الاختلاف...

لحق بنا الفجر...زارنا الفجر..عليكم صليت....كسوتكم ببياض..البياض قماشا يشبه الكفن.. من خزانة أمي أخرجته.... القماش الأبيض خبأ كجهاز لي.. كشيء خبئته أم عفاف عندما يحين زواج البنت الوحيدة ... بما أن لا زواج.. لا حاضر.. لا مستقبل لعفاف.. لا غد كما أرغب... بالقماش قصيت القماش الطويل ..القماش العريض.. كم صاحب متر هو لا أعرف.. فصلته على مقاس كل واحد على الأرض مستلقي ..ينتظر حمله لقبره... كل جثة .. كل شهيد ملقي.. لا اغتسال.. لا تغيير لملابسهم... مباشرة قمت بلف الأبيض عليهم.. من نفس القماش خيوط سميكة شكلت..كفنتهم.. ربطتهم... لم أستطع اخفاء النور الساطع.. النور الذي أضاء البيت في ظلمته... لم أتمكن من القاء الستار على الابتسامات القوية الشديدة ..الجالبة للراحة والهدوء لي .. ولو لبعض الوقت.. أدري أنه مؤقت .. وبتوقيت ظئيل جدا لا يحسب.. كالبرق يمر .. كصوب السهم مر.. صليت.. دعيت.. ترجيت.. الرب طلبت..بأن أخرج معهم طلبت.. إلى السماء العليا نكون تمنيت..شجاعة عفاف جدا.. ذات جرأة لا تقاس هي.. لا توصف كانت.. الألم شجعني.. الحزن جريئة جعلني.. نار الانتقام بلا خوف لحظتها كنت.. بكرامة .. باحترام.. بأناقة .. ب.. أردت خروج

أحبائي من البيت الذي صار تعيس قتيل..قاتل من ليلة احتفال...بكرامة .. باحترام.. بأناقة ..ب.. إلى قبرهم .. بيتهم الجديد.. حياتهم الأخرى يرحلون .. يذهبون..قمت بما استطعت القيام به.. لم أبخل.. بخت على روحي بالانظمام إلى أرواحهم والذهاب معهم... كانو يشعرون بي.. عين أمي دمعت..

بساعات.. بعد ساعات طويلة.. وصعبة..

اندق الباب .. الطارق من الجيران.. من الأقارب .. من ... المراسيم الأخيرة هم أكملوها عني.. لم أشتكي... أرادوا المبادرة.. المساعدة.. أصروا على توقيفي إلى هذا الحد.. فالآتي ليس من اختصاصي.. ليس من قدرتي.. ليس من المسموح لي..العرف..عادات.. تقاليد وقبلهم دين.. إلى الوراء أرجعوني....حملوهم.. وأنا أسقط أرضا..رفعوا....كأن حمامات كانوا يحملون.. وعفاف ثقل الأثقال التي بالكون عليها نزلت.. رددوا.. رددوا.. " الشهيد حبيب الله".. " الفائز الشهيد".. رددوا.. رددوا.. أمرتهم.. طلبت منهم.. ألحيت فلبوا.. لبينا... من البيت.. إلى المقبرة. اللسان .. الفم لم ينغلق .. لم يتوقف عن تكرار .. عن قول الكلمات الأربع... مشيت.. ورائهم أسير .. كنت.. كيف مشيت؟ ...هل عندي أقدام فعلا؟ .. لم أشعر بهم.. لم أحس.. بالأحرى لم أراهم.... لم أرد دخول المسكن الثاني.. مسكنهم الأبدي ..الأخير للأحباب....خارج المقبرة بقيت.. فضلت

المشاهدة من البعيد البعيد.. العين منعتني.. القلب منعني.. الروح كانت تموت .. تحتضر.. والحين هي كذلك.. الحركة مني غادرت .. عاجزة كل العجز عن اظهار ردة فعل...كنت .. مازلت .. مازالت الصدمة تربطني .. فكتني الحين يا روح عفاف.. الآن أطلقت سراحي.. وها أنا مسرعة للهرب قبل أن أربط ثانية.. منها من غيرها دعينا بعضنا أيتها الروح بالسرعة.. نسرع في الهروب.... الحواس عندي لا وجود لها.. ماتت.. من ليلتها الى هذه الليلة..ما أقصاك يا زمن.. ما أقصاك...ما أقصاك يا حياة .. ما أقصاكي .... ما أصعب عالمك.. وضعك يا سوريا الحين.. ما أصعب.. عشت.. لم أعش كما أردت .. كما حلمت.. كما رسمت..وهل بقي سوري بأرضه.. بأرض سوريا يحلم..

عدت لبيتنا.. بقيت القليل ورحلت.. لا أتذكر كم بقيت.. لا أتذكر .. سوى ليلتي.. مجزرة الواحد من شهر ثلاثة أتذكر..ما بعد ليلة احتفالي لا أتذكر.. لا أريد التذكر...طيلة هذا الوقت في الأزقة المدمرة أسير.. من قرب الأسوأ من حالتي أشاهد.. أشاركهم..بالرجوع للماضي.. فأتذكر.. يزيد ألمي.. وأهجر أكثر.. أغوص أكثر في بئر الذكريات ..فأرفض العيش والاستمرار بالحياة..فيزيد تمسكي بالرحيل الأبدي.... كم عبرت الدمار.. الصراخ.. جنازات .. حريق..الموت كان قريب مني.. من ليلتها هو قريب جدا... الموت بجانبي ومعي... الموت كان يمنعني قصدا أظن من

الموت..... رميت نفسي للموت والموت يسحبني.. يعيدني للوراء..ترجيت.. كلمت.. توسلت الموت وهو لم يسمعني.. قد يكون تقصد أن لا يسمعني.. النتيجة لم يسمعني.. لم يلتفت إلي بتاتا...

عاجزة أنا عن مساعدة نفسي.. عاجز الموت عن مساعدتي..عن إراحتي..عن إنهاء آلامي .... ياااااه كم الحياة ... كم أعداء الحياة .. محاربي السلام .. الأمن والأمان .. يهوون عذابي.. عذابنا.. تخبطي ..

وطني يا وطني.. سوريتنا.. سوريا يا وطني....من نلوم يا وطني.. من السبب يا قومي .. يا أمتي.. يا أهلي يا ناسي..حملنا السلاح من أجل من .. ما الهدف.. لماذا؟ ... باسم من نجاهد.. باسم من نقتل.. ندمر .. نحارب..... أين اختبأت العاطفة والشفقة..

تخلينا عن كل اللذات.. عند لذة القتل .. الإجرام أدينا السلام.. ويمين البقاء.. من سرق منا النخوة.. العروبة .. الدفاع عن الحق.. البعد عن الظلم والأضرار..

كيف وصلنا إلى كل هذا؟ ..من أجل من .. ما الهدف؟ .. ما الغاية.. ؟ .. ما المطلوب؟ ...

كل شيء ممنوع.. المسموح صار ممنوع.... سوى القتل .. الذبح.. سفك الدماء .. وحتى هتك العرض ..مباح ..مسموح.. حلال.الحرية ليست من الحقوق عند خائنك يا وطني..

يا شعب..الحرية من متاعات الدنيا.. من المحرمات.. من لا ضروري .. فلا تطلب.. لا تجاهد.. من أجل الحرية ..

.حزن سكن.. يسكن قلبي.. قلب اخوتي بالوطن.. قلب الملايين.. تألمنا.. نتألم..لازلنا.. اعتدنا...دموع حبست بالعيون.. بعيني التي رأت .. لا تزال ترى الأبشع.. الأصعب.. ال...

بشاعة إجرام طبقت على أحبائي.. على أهلي.. على كل من بهذه الأرض التي تحترق..

الرقبة قطعت.. سقط الرأس .. تفجر البطن.. ثقب القلب.. الصدر .. الجبين .. ال.. شاهدته عفاف.... مارسها ...طبقها الذي ليس له علاقة معنا.. معهم .. معي شخصيا..

بسكين كبير .. بسلاح .. علينا أقاموا الحد .. بوجودي .. بوجودنا .. بالملك.. بالخاص بنا.. بالمكان..

رأيت.. أروني ..الكل بسوريا يرى .. يطبق عليه.. جريمة أخر

زمان....بدأت الأرواح تخرج باختفاء الأمن.. مع موت الضمير.. ال..

والمتسبب بسهولة غاب.. رحل.. وسوريا بكل لحظة تودع الأبناء..وأجمل الفرسان..قصتي أنا.. قصتهم.. جثثهم بينت.. تبين دوما معدن الفاعل .. والحكم بالبيان...مشهد الموت.. بعد الموت.. يلفت انتباه الحاضرين كان.. عند العقاب للمظلوم.. البريء .. الكل غاب.. يغيب..بعدها المهتم

بالأخبار.. بالجديد يلتقط صور مصدر البرهان... أرواحنا البريئة تقول .. لا داعي لتطبيق سيناريوهات الأفلام.. فالحقيقة.. حقيقتنا تفوق نطق أي كلام.... ضاعت الإنسانية ..حتى أُعدِمت قواعد الإسلام..

قصص الشهداء.. حوادث استشهادهم لم تنشط.. مخذر كانت للأجسام.. رغم أن الشهيد حبيب الكل .. أنفسكم.. الحين .. ربط مقدمة الأقدام... آآآآآآه يا عدو.. آآآآآه يا من يراها ويصمت... آآآآآه يا من بيده قوة .. ضدنا يوظفها.. لا معنا .. لا لصالحنا... لا لإنقاذنا...

الاستعداد للرحيل.. ليس هناك من يمنعني.. سأتطلق من هذه الحياة.... طلقيني أيتها الحياة .. طلقيني.. طلقي يا روح عفاف الجسد بالثلاث ... طلقيه..أنا والروح .. أنا عفاف بالسطح المسطح...أقف.. مستعدة ...مهيأة للرمي.. للنزول إلى الأسفل البعيد...قررت الانتحار .. لا مفر .. لا مخرج.. يا ربي سامحنا... روحي وأنا تعبنا...سامحنا... أدعوك .. أطلب منك... بالله لا تعذبنا... فقد عذبت.. اكتفت الحياة بتعذيبي.. أكتفى من بهذه الدنيا بالحاق العذاب بي...اليوم وغدا..عذبتني الدنيا عندها.. سبقت عذابي بعدي عنها...بعدها... لن أتراجع... عن الانتحار لن أتراجع... لا أقوى على الرجوع...لي قوة على الرحيل الحين .. نعم.... انتهى وقتي... انتهى عمري...

عد يا موت عد.. فلن تمنعني ..لن تعيدني للحياة...ها أمد يدي لك..أمسكها يا موت .. أمسكها.. خذ الروح.. عجل.. نجني من مخلفات الانتحار...أريد من يرحمني.. أين رحيمي.. اظهر رجاءا.. الحق خطأي وأكبر ذنبي.

دعينا أيتها الروح لا نطيل استرجاع ما مضى.... لا نطيل البقاء.. نلحق.. نسبق الآتي.. نجري.. نجري .. بسرعة نجري..

ظل إنسان من بعيد أرى.. ألمح.. لست متأكدة.. قادم نحوي.. إلى اتجاه آخر يسير.. لا أتمكن من التحديد.. من التركيز .... لا يهمني... لا يهمني... مهلا ... مهلا.. ساظهر نفسي.. أدعه يراني.. فقد يكون هذا رحيمي..مخلصي.. الباعث بي إلى القبر.. جاء من أجلي.. ليس من أجلي .. الأهم جاء .. قد يكون المسبب.. السبب في أخذي الشهادة ... حل محل الظل ضوء.. رجل.. دعيني أقول شابا..من ورائه ظل.. وظل.. وظل.. رجال يتبعونه... قريب من مكاني صار.. أظن أنه لم يراني جيدا.. لم يحدد جنسي.. نوعي.. شاهدني.. شاهدته.. حمل سلاحه.. صوبه نحوي..

أغمضت عيناي.. وأنا أهب للمغادرة والذهاب الأبدي..

على حافة سطح بيتنا الذي غبت عنه.. هاجرته طويلا... واقفة كنت.. رصاصة دخلت قلبي.. لحقتها الثانية مباشرة في نصف جبيني.. جاء الموت

معهما... طارت روح عفاف عاليا تاركة الجسد سقط أرضا..سالت الدماء منه.. تكسر .. تشوه..

لا فرصة للانتحار.. للتفكير بالانتحار حتى بسوريا.. فالقتل كالمطر بالشتاء... صمدت طويلا.. كثيرا.. كثيرا...

من صمودي إلى بلدي .. إلى من بقي بعدي من السوريين .. أناديهم .. أورثهم .. أوصيهم بالصمود ... اصمدي يا سوريا.. اصمد يا سوري..

أيها القادرون قلوب الأسود

أيها الواقفون عند المحن

أيها المرسلون من الحدود

بعقول أرواح دامية للعطاء

أيها الصابرون لمكرهات الوجود

انحنوا لتوسلات هذا الوطن

كالعبد للرب والسماء للرعود

يا حماة أرجاء سوريا

يا مفجري قلب الحشود

سوريا يا حاميها تناديك

سوريا ستكشف جوهر الزنود

يا حكام الصبر والقلوب

يا مملكة الفدى والخلود

فجروا دمروا أشعلوا الصبر

كافحوا، اصمدوا، حققوا العهود

استرجعوا الأمل، أعيدوا سوريا

اطرقوا، اذكروا تاريخ الجدود

تقدموا، علقوا أعلام البطولات

ازرعوا البسمة وأحيوا المولود

سارعوا الحقوا الظالم العدو

اخطفوا النصر من عدو يهود

اقتلوهم أقبروهم هيا أخرجوهم

اسكبوا املأوا بالدم السدود

الأرض أرضنا وسوريا سوريتنا

واقطعوا لسان الكذاب من الوعود

فسوريتنا بالروح بالدم تعيدوا

هيا انشروا خطاب الردود

اتجهوا للحرب هذه الحرة سوريا

هيا اصمدوا فأنتم معلموا الجنود

هكذا تجيبوا نجيب نفس العدو
نزرعوا نبقوا سوريا بالقلوب

هيا انضموا تقدموا فأنتم الجنود

أيها...لا تشكو المضيقا

هيا فالصبر زال وده.

1